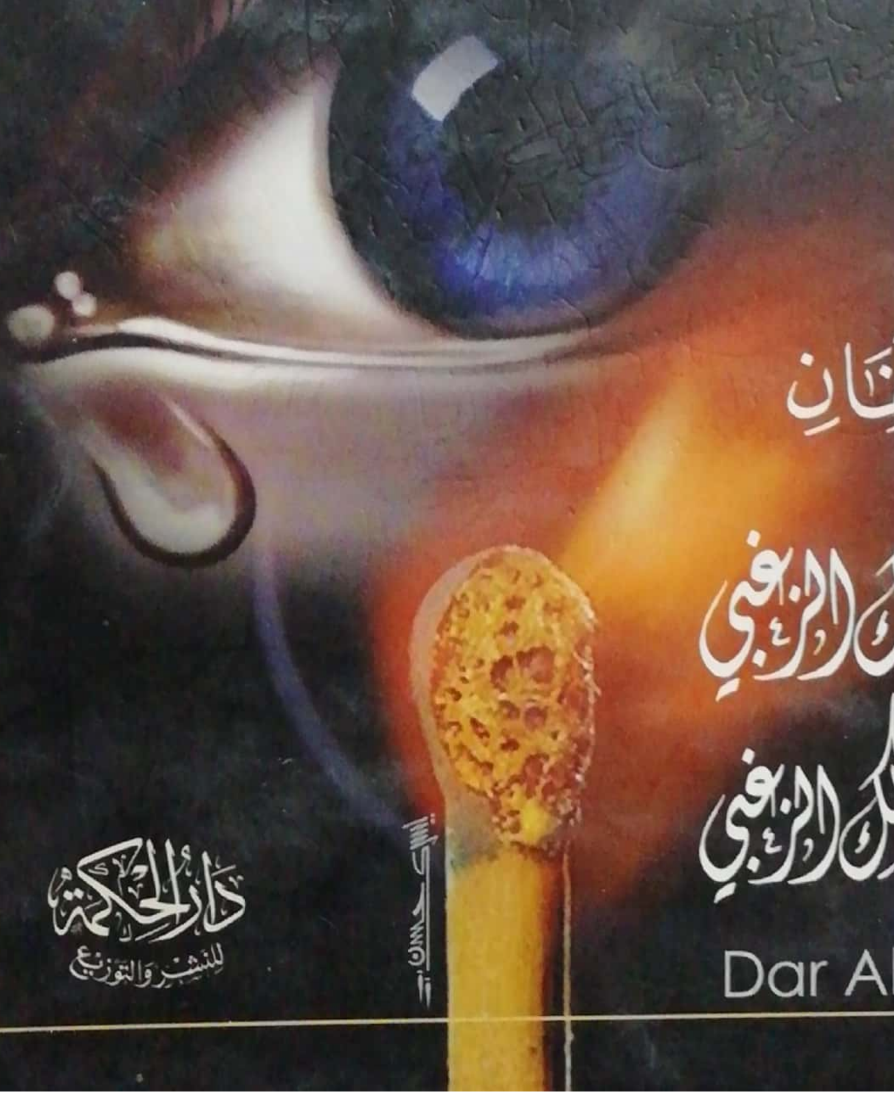
صرخة إلى العصاة

A cry to the insurgents



المؤلفان

محمد عبد الملك الزغبي

محمود عبد الملك الزغبي

دار الحكمة للنشر والتوزيع

Dar Alhkma

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الزغبي، محمد عبد الملك
صرخة إلى العصاة / تأليف محمد عبد الملك الزغبي .
محمود عبد الملك الزغبي، .ــ ط ١ .ــ المنصورة : محمد
عبد الملك الزغبي ، ٢٠٠٦ .
١٢٨ ص؛ ٢٤ سم.
تدمك ٢ ٤١٣٢ ١٧ ٩٧٧
١. الوعظ والإرشاد
أ. الزغبي ، محمود عبد الملك (مؤلف مشارك)
ب. العنوان
٢١٣

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م

رقم الإيداع: ٢٤٠٩٥ / ٢٠٠٦
ترقيم دولي : 2 - 4132 - 17 - 977

مكتبة دار الحكمة للنشر والتوزيع
جمهورية مصر العربية ـ المحلة الكبرى
شارع السادات ـ أول طريق كفر الشيخ
ت : ٠١٠٣٠٢٧٠٩٠ ـ ٠١٢٢٤٠١٦٠٧
e-mail : dar_alhkma@hotmail.com

صرخة إلى العُصاة

المؤلفان

محمد عبد الملك الزغبي

محمود عبد الملك الزغبي

دار الحكمة للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أيها القراء:

إن الآمال تطوى، والأعمار تفنى، والأبدان تحت التراب تبلى، وإن الليل والنهار يتراكضان كركض البريد، يقربان كل بعيد، ويبليان كل جديد، وفي كل ذلك - عباد الله - ما ألهى عن الشهوات، وسلا عن اللذات، ورغب في الأعمال الباقيات.

لذا علينا جميعًا ترك المعاصي والمحرمات، والتوبة والعودة إلى رب البريات.

يا نفس توبي فإن الموت قد حانا واعْصِ الهوى فالهوى لا زال فَتَّانا
في كل يوم لنا ميتٌ نشيعه ننسى بمصرعه آثار موتانا
يا نفس ما لي وللأموال أجمعها خلفي وأخرج من دنياي عريانا

هذا والحمد لله رب العالمين.

المؤلفان

محمد عبد الملك الزغبي
داعية إسلامي، إمام وخطيب مسجد/
مطلق الخزام ـ بالفحيحيل
مؤلف مساهم برابطة العالم الإسلامي (٤٩٣ / ب)
عضو لجنة العلاقات العامة العربية (١١٦٦)
الحاصل على المركز الأول على مستوى الدولة من
الكويت (٢٠٠٥)

محمود عبد الملك الزغبي
باحث إسلامي
صاحب موسوعة فقه الزكاة
له مؤلفات عديدة

أيها العاصي
إلى متى هذا التناسي؟!

أيها العاصي ابكِ على المآسي، إلى متى هذا التناسي؟ !

انظر إلى سابقيك وقل :

أين الَّذين كانوا في اللَّذَّات يتقلبون، ويتجبرون على الخلق ويتكبرون؟ ضربت لهم كئوس المنون فهم لها يتجرعون، وتركوا الأموال التي كانوا لها يجمعون، وفارقوا العيش الذي كانوا فيه يتمتعون، فلو رأيتهم- يا هذا - في حلل الندامة يرفلون، ويساقون إلى الموت وهم ينظرون: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾.

وصدق القائل :

إليك من مكـــرك يــا إلهي	كل البرايـــا دائمًا يحـذرون
فكم ذنوب وعيــوب مضت	ونحن عنها يا إلهي غـــافلون
نضيع العمر بكسب الخطــا	فنحـن في أوقاتهـا لاعبــون
نشاهد الموت ولا نرعـــوي	ولا تنبهنــا لريب المنـــون
بل غفلة تطمس أبصارنــا	وشقوة خـابت لديها الظنـــون
فنحـن يا رب الــورى كلنـا	إليك مـــن زلاتنا هاربـــون
لكننا نســأل رب الـــورى	عفوًا وصفحًا كي تقر العيـــون

أيها العاصي :

انظر بعين البصيرة إلى من أنت راحل، وعلى من أنت نازل؟ فويل لك من الله إن لم ترجع إليه.

• كان رجل يحاسب نفسه على سيئاته وخطاياه، فحسب يومًا سنينه فوجدها ستين سنة، فحسب أيامها، فوجدها واحدًا وعشرين ألف يوم وخمسمائة، فصرخ صرخة وخَرَّ مغشيًا عليه فلما أفاق قال : يا ويلتاه. وأنا آتِ ربي بواحد وعشرين ألف ذنب وخمسمائة، هذا لو كان في كل يوم ذنب واحد، فكيف بذنوب لا تحصى؟! ثم قال : آه عليَّ، عَمَّرْتُ دنياي، وخربت أخراي، وعصيت مولاي، ثم لا أشتهي النقلة من العمران إلى الخراب، فكيف أقدم في يوم الحساب على الكتاب والعذاب؟!

وصدق القائل :

نــــازل دنيـــاي عمرتهـــا ... وخـــربت داري في الآخرة
فأصبحت أنكر داري الخراب ... وأرغب في داري العامرة

ويحك أيها العاصي :

اتبعت عدوك، وهجرك حبيبك؟!

يقول ﷺ :« **إن الشيطان قال : وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسامهم، فقال الرب عز وجل : وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني، لا أزال أغفر لهم ما استغفروني** ».[1]

أيها العاصي :

الشيطان راصد يرصد جميع المقاصد: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾.

لا تسمعوا قوله ؛ فإنه كذاب أشر، ولا تقبلوا نصحه فإنه غشاش : ﴿ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾.

---

(١) الحديث حسن ، أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٣٩ – ٤١)، وأبو يعلى في ««المسند»» (٢/ ٤٥٨) «ح» (٢٩٩/ ١٢٧٣) وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٠٧) : رواه أحمد وأبو يعلى.. والطبراني في «الأوسط» وأحد إسنادي أحمد رجال الصحيح ، وكذلك أحد إسنادي أبي يعلى. اهـ والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٦١) كتاب التوبة والإنابة. وقال : صحيح الإسناد ، ووافقه وأقره الذهبي ، وكذا البغوي في «شرح السنة» (٥/ ٧٦ – ٧٧) «ح» (٢٩٣) وحسنه الشيخ الألباني. وراجع «المشكاة» برقم (٢٣٤٤) و «صحيح الجامع» برقم (١٦٥٠) و«السلسلة»برقم (١٠٤) والحديث من رواية أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه.

أيها العاصي:

سوف يأتي عليك الوقت الذي ستندم فيه على كل ما فعلت.

• كان رجل كثير البكاء، فقيل له في ذلك، فقال: أبكاني تذكري ما جنيت على نفسي حين لم أستحِ ممن شاهدني وهو يملك عقوبتي، فأخرني إلى يوم القيامة الدائمة، وأجلني إلى يوم الحسرة الباقية، والله لو خُيِّرْتُ: أيها أحب إليك، تحاسب ثم يؤمر بك إلى الجنة، أو يقال لك كن ترابًا؟ لاخترت أن أكون ترابًا.(١)

اعلم أيها العاصي:

أن المعاصي ظلمات لا يعلم مداها إلا الله، وإلى هذا فطن الشافعي رحمه الله تعالى.

يقول ابن قيم الجوزية: لما جلس الإمام الشافعي بين يدي مالك وقرأ عليه، أعجبه ما رأى من وفور فطنته، وتوقد ذكائه، وكمال فهمه فقال: إني أرى الله قد ألقى على قلبك نورًا فلا تطفئه بظلمة المعصية. اهـ.

• وها هو الشافعي أيضًا رحمه الله كان يحفظ من أول وهلة كما نقل الحفاظ، ورأى يومًا كعب امرأة فذهب ليحفظ، وقرأ مرة واثنتين وثلاثة ولكن بدون أن يدرك شيئًا، فذهب إلى شيخه وكيع، فشكى له، فوعظه وكيع ونصحه، فأنشد الشافعي رحمه الله ـ يقول(٢):

شكوت إلى وكيع(٣) سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال: اعلم بأن العلم فضل ... وفضل الله لا يؤتاه عاصي

---

(١) انظر «التوابين» (ص/ ١٥٠ – ١٥١) ـ تحقيق (محمود عبد الملك الزغبي) ط دار المنار.

(٢) انظر «الداء والدواء» لابن القيم ـ تحقيق الشيخ محمد عبد الملك الزغبي. ط دار المنار.

(٣) وكيع هو: ابن الجراح بن مليح الرؤاسي. حافظ، قال أحمد: ما رأيت أوعى للعلم منه، ولا أحفظ، ولا رأيت معه كتابًا قط ولا رقعة. توفي سنة ١٩٦هـ وراجع ترجمته في: حلية الأولياء (٨/ ٣٦٨) وتاريخ بغداد (١٣/ ٤٦٦) وتذكرة الحفاظ (١/ ٣٦) وطبقات الحفاظ (ص/ ١٣٣) والشذرات (١/ ٣٤٩) وتهذيب الأسماء (٢/ ١٤٤) لشرف الدين النووي ـ رحمه الله تعالى.

فهذا أيها العاصي حرمان العلم، والعلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفئ ذلك النور.

• قال وهيب بن الورد : بينما امرأة في الطواف ذات يوم وهي تقول : يا رب! ذهبت اللَّذَّات وبقيت التبعات، يا رب ! سبحانك وعزتك إنك أرحم الراحمين، يا رب ! ما لك عقوبة إلا النار، فقالت صاحبة لها كانت معها : أُخَيَّة ! دخلت بيت ربك اليوم؟ فقالت : والله ما أدري هاتين القدمين أهلًا للطواف حول بيت ربي، فكيف أراها أهلًا أطأ بهما بيت ربي، وقد علمت حيث مشتا وأين مشتا؟

وصدق القائل :

لا عذر لي قد أتى المشيب فليت شعري متى أتوب؟ !
إبليس قد غرني ونفسي ومنيْ منهما اللغوب
إذا انقضى للشقاء ذنب تجددت بعده ذنوب
ومن ورائي حلول قبري ساكنه مفرد غريب
ولست أدري إذا أتاني رسول ربي بما أجيب
هل أنا عند الجواب مني أخطئ في القول أم أصيب
أم أنجو يوم الحساب أم لي في ناره نصيب
يا رب جد لي على رجائي بمنة منك لا أخيب

وقال يحيى بن معاذ الرازي : عجبت من ذي عقل يقول في دعائه : اللهم لا تشمت بي الأعداء، ثم هو يشمت بنفسه كل عدو له. قيل : وكيف ذلك؟ قال : يعصي الله ويشمت به في القيامة كل عدو. وقال سليمان التيمي : إن الرجل ليصيب الذنب في السر فيصبح وعليه مذلته.

اعلم أيها العاصي :

أن عليك رقيب، وسوف يظهر لك الأمر البعيد والقريب، ويوم الحساب على

الأبواب، فإياك ومعصية الواحد الوهاب.

• دخل الأديب الكبير ثعلبة على أحمد بن حنبل فقال له الإمام : ماذا تحفظ من الشعر؟

قال الأديب : أحفظ بيتين من الشعر؟

قال الإمام : ما هما؟

قال :

إذا ما خَلَوْتَ الدَّهْرَ يومًا فلا تقل خلوت ولكن قُلْ عليَّ رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفـي عليه يغيب

فدخل الإمام أحمد الحجرة، وأغلق على نفسه، وظل ينتحب ويردد الأبيات :

إذا ما خلوت الدهر.. إلخ

حتى أن طلاب العلم سمعوا صوت الإمام من خارج المنزل.

فهؤلاء **أيها العاصي** هم الأئمة، فكيف بك يا فقير يا مسكين يا صاحب الذنوب والمعاصي؟!

ابْكِ **أيها العاصي** على ما ستجده عند الله من المآسي، فعند الله تجتمع الخصوم، فعليك بالتوبة إلى علام الغيوب.

أيها العاصي ! إن الحيوانات ربما تكون أوفى منك في ساعة عصيانك، فانظر إلى هذه الموعظة بالقلب لا بالعين.

• خرج رجل يدعى: الحرث بأصحابه إلى النزهة، فرجع واحد منهم، فتبعه كلب من كلاب الحرث، فدخل الرجل على زوجة الحرث وأوقع الفاحشة بها، فوثب الكلب عليهما فقتلهما، فلما جاء الحرث وجدهما ميتين، فقال :

فيا عجبًا لِلْخِلِّ يهتكُ حُرْمَتي ويا عجبًا لِلكلْبِ كيف يَصُون !

ويقول ﷺ :«إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب

واستغفر صقل قلبه، وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه، فذلكم الران الذي ذكر في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»[1].

وقال عبدالله بن عباس - رضي الله عنه: إن الحسنة ضياء في الوجه، ونور في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سوادًا في الوجه، وظلمة في القلب، ووهنًا في البدن، ونقصًا في الرزق، وبغضًا في قلوب الخلق.

وقال عبد الله بن المبارك:

رأيت الذنوب تميت القلوب ... وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب ... وخير لنفسك عصيانها
وهل أفسد الدين إلا الملوك ... وأحبار سوء ورهبانها؟!

وكان الفضيل - رحمه الله يقول: يا مسكين تغلق بابك، وترخي سترك، وتستحي من الناس ولا تستحي من الملكين اللَّذَيْن معك، ولا تستحي من القرآن الذي في صدرك، ولا تستحي من الجليل وهو لا يخفى عليه خافية؟!

• وكان طاوس اليماني بمكة فراودته امرأة عن نفسه، فلم تزل به حتى أتى بها إلى المسجد الحرام والناس مجتمعون، فقال لها: اقْضِ ما تريدين. قالت: في هذا الموضع والناس ينظرون؟! قال: فالحياء من الله أحق! فتابت المرأة وحسنت توبتها.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٩٧) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (ص/ ٣١٧) «ح» (٤١٨)، وابن ماجه في «السنن» (٢/ ١١٨) كتاب الزهد (٣٧) باب (٢٩) «ح» (٤٢٤٤) والترمذي (٥/ ٤٣٤) كتاب التفسير (٤٨) «ح» (٣٣٣٤) وقال: حديث حسن صحيح. وأخرجه ابن حبان، ذكره الهيثمي في «موارد الظمآن» س (٦٠٧) كتاب التوبة (٣٩) «ح» (٢٤٤٨) والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥١٧) وقال: صحيح على شرط مسلم. وأقره ووافقه الذهبي. والطبري في «جامع البيان» (٣٠/ ٦٢) وابن جرير في التفسير (٣٠/ ٩٨) والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٢٥) وزاد نسبته إلى ابن المنذر عبد بن حميد، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» ونكتت من النكت: وهو الأثر في النسء والنكتة: نقطة سوداء في شيء طاف، والصقل: الجلاء. (الران) ران على قلبه أي: زاد وغطى عليه، والآية من سورة المطففين رقم (١٤).

أيها العاصي : متى تستعد؟

أيها المشغول باللَّذَّات الفانيات، متى تستعد للمُلِمَّات؟

أتطمع مع حب الدنيا في لحاق السادات؟ وأنَّى نجعلك منهم وأنى هيهات !

يا عظيم الجراءة يا كثير الهنات والزلات.

ألك قدم تصلح للمشي على الصراط؟ !

ويحك يابن آدم أتدري ماذا صنعت؟

بعت القرب بالبعد، والعقل بالهوى، والدين بالدنيا.

ورحم الله القائل :

لي ذنـــوب شغلتـــني ... عن صيامي وصـــلاتي
تــركت جسمــي علــيلًا ... مـــات من قبل وفـــاتي
ليتني تبــت لـــربي ... مـــن جميع السيئـــات
أنـا عبـــدك يـــا إلهــي ... هائـم في الفلـــوات
بحــت جهـــرًا بعيوبي ... وذنـــوبي قـــاتـلاتي
قـــد توالت سيئـــاتي ... وتلاشـــت حسنـــاتي

• مَرَّ منصور بن عمار بشاب يحدث امرأة، فانصرف الشاب، فتقدم منصور إلى المرأة وكَلَّمها أن تذهب معه إلى بيته، فمشت خلفه إلى أن دخل منزله، وقعدت ووقف منصور يصلي، فَطَوَّلَ عليها، فلما سَلَّمَ قالت : يا هذا طَوَّلْتَ عليَّ، فقال لها : ما تقولين في رجل عليه حق بأربعة شهود والحاكم يعلم به، هل يقدر أن يمتنع عنه بجحود؟ قالت : لا والله. قال : فإنه معي ملكين، ومعك ملكين، والحاكم يعلم، فاضطربت المرأة ووقعت ميتة.

إخواني :

تذهب اللذة، ويرسب الأسف، ويبقى عض اليدين على قبح ما سلف.

أيها العاصي الفقير إلى عفو الرب العظم، أتحسب أن أحدًا لا يراك، وتفعل المعاصي في كل الأماكن والخربات؟

ولكن عليك من الله شهود، فيا ويلك في وقت اليوم المشهود، تجد كتابك قد أظلم بالمعصية، وتعض أصبعك ولكن بعد فوات الأوان، ولم يبق لك إلا ملاقاة الواحد الديان، وتحمل كتابك في عنقك تريد الفكاك منه، ولكن أنىَّ لك ذلك؟

فالويل لك أيها الهالك ! تعصي رب الأرض والمهالك، وتظن أن الشهوات مالك، جمعت المال لمن بعدك، وخرجت من الدنيا بقطعة قماش سوف ينازعك الدود عليها فيقرضها خيطًا خيطًا.

انظر أيها العاصي :

حتى كفنك، الشيء الوحيد الذي تملكه بعد موتك، لا يتركه لك الدود، خلقت من الطين وإلى الطين تعود، ونسيت الشاهدين والواحد المتين.

انظر أيها العاصي إلى هذا الموقف، كيف يعلم الشيخ طلابه مخافة الله؟

• روي أن بعض الأشياخ كان يفضل واحدًا من طلابه على أصحابه، ويخصه بإقباله، ولكن هل يا ترى سبب ذلك غنى الطالب أم رشوة الشيخ؟ لا والله ولكن العلم، انظر : فوقع في نفوسهم شيء من قبل هذا الغلام؟ فأراد الشيخ أن يبين لهم رتبته، فأعطى كل واحد منهم طائرًا، وأمره أن يذبحه في مكان لا يراه فيه أحد فمضى كل واحد منهم، وذبح طائره، وأتى ذلك الطالب الفقير بطائره غير مذبوح وقال : يا شيخي لقد أمرتني أن أذبحه في مكان لا يراني فيه أحد فأينما ذهبت فالله يراني، فعلموا أن الفقير خير منهم جميعًا.

• وقال بعضهم : مررت بجماعة يترامون، وواحد جالس منفرد عنهم

فتقدمت إليه، فأردت أن أكلمه، فقال : ذكر الله أشهى، قلت : إنك وحدك، قال : معي ربي وملكاي، قلت : من سبق من هؤلاء؟ قال : من غفر الله له، ثم قام ومشى وهو يقول : أكثر خلقك متشاغل عنك.

يا نفس توبي فإن الموت قد حانـا ... واعصِ الهوى فالهوى ما زال فَتَّاناَ
في كل يوم لنا ميت نشيعه ... ننسى بمصرعه آثار موتانـا
يا نفس ما لي وللأموال أكنزها ... خلفي وأخرج من دنياي عريانا
ما بالنا نتعامى عن مصارعنـا ... ننسى بغفلتنا من ليس ينسانـا
فكم رأينا أناسًا صالحين قضوا موتا ... وقد سلبوا دينا وإيمانـا
واستبدلوا الكفر بالإيمان وانفصلوا ... بسوء خاتمة للموت أعيانـا
أين الملوك وأبناء الملوك. ومن ... كانت تخر له الأذقان إذعانـا؟
صاحت بهم حادثات الدهـر ... مستبدلين من الأوطان أوطانـا
أخلوا منازلًا كان الغر مفرشًا ... واستنفروا حفرًا غبرًا وقيعانـا
يا راكدًا في ميادين الهوى مرحًا ... في ثيـاب الغَيِّ نشوانـا
مضى الزمان وولى العمر في لعب ... يكفيك ما قد مضى قد كان ما كانا

أيها العاصي :

كن ممن ابتاع نفسه فأعتقها، ولا توبقها بالذنب وعصيان الرحمان، فإنك لا تقدر أن تصبر على نار الدنيا لحظة، فكيف تصبر على دخول نار حامية ويصب فوق رأسك من عذاب الحميم؟!

وكم من دعوة مظلوم، لا بل دعوات عليك آناء الليل وأطراف النهار، ورسول الله ﷺ يقول :« **واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب**»[1].

---

(١) الحديث : صحيح ، أخرجه أحمد في«المسند»(١/ ٢٠٧١) والبخاري في الزكاة «ح»(١٣٩٥) وأطرافه في (١٤٥٨) ، (١٤٩٦) ، (٧٣٧١) ومسلم في الإيمان (٣١) ، وابن ماجه في الزكاة ـ خ (١٧٨٣) والدارمي (١/ ٣٧٩) والترمذي (/٤٠٨) «ح» (٢٤٣٤) وابن حبان في «صحيحه» (١/ ١٥٦) وابن أبي شيبة

وقال علي رضي الله عنه[1] : شتان بين العملين : عمل تذهب لذته وتبقى تبعته، وعمل تذهب مؤنته ويبقى أجره.

وقال أيضًا : الدنيا دار ممر إلى دار مقر، والناس رجلان :رجل باع نفسه فأوبقها، ورجل ابتاع نفسه فأعتقها.

• وهذا رجل من السلف يقول : مررت على شاب في سفح جبل وعليه آثار القلق، فقلت له : من أين أنت؟ قال : أنا عبد آبق هربت من مولاي. قلت : تعود إلى مولاك وتعتذر. قال : لا وجه لي ولا حجة، قلت : تتعلق بمن يستشفع لك. قال : بمن أتشفع والكل يخافون منه؟ قلت : من هذا المولى؟ قال : فخرجت روحه، فخرجت إلينا عجوز، فقالت : مَن أعان على قتل هذا البائس الحيران، فقلت لها : أقيم عندك حتى أعينك على تجهيزه؟ فانهمرت الدموع من عينيها وهي تقول : لا، خَلِّهِ بين يدي قاتله، عساه يراه بغير معين فيرحمه.

• فوالله إن العين لتذرف الدموع من هذا الموقف المؤثر على القلب، فهذا العابد يخاف الله وأنت **أيها العاصي** يا من تراكمت عليك الذنوب وغمرتك العيوب، ولا يعلم بمداها إلا علام الغيوب لا تخاف؟!.

• فالعجب كل العجب لمن يعلم أنه راحل، وعن الأحباب مفارق، كيف يعصي مولاه؟!

في «المصنف»(٣/ ١١٤) والبغوي كذلك (١٥٥٧) والبيهقي في «الكبرى» (٤/ ١٠١) والطبراني في «الكبير» (١٢٢٠٧).

(١) قلت : والصحيح - رضي الله عنه ، أما قولنا : (كرم الله وجهه) فهذا فعل.... أو يقولون أحيانًا : عليه السلام، ويقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله : فإن هذا من باب التعظيم والتكريم فالشيخان (أي: أبو بكر وعمر) ، وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه .اهـ ،وقال العلامة ابن القيم الجوزية : فأما إضافة الصلاة إلى السلام عند ذكر علي - رضي الله عنه دون غيره فهو ممنوع ولا سيما إذا اتخذه شعارًا لا يخل به حينئذ متعين ، انظر «جلاء الأفهام» لابن القيم - رحمه الله.

أيها العاصي :

إنك لتنتظر على شغف فرصة المعصية وكأنها طاعة لله، فشتان بينك وبين أولياء الله.

• روي أن أحد السلف كان ينتظر العشاء فأتاه آت فقال له : وامصيبتاه، وامصيبتاه ! قال له : ما الذي حدث؟ قال له الرجل : لقد ماتت ابنتك، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، حسبتك قلت: إن فرض العشاء قد فات، ثم استرجع وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون.

هؤلاء هم أولياء الله. فهل أنت كذلك أيها العاصي؟

أتراك تحافظ على الصلاة؟ أتراك تخاف على محارم الله وأنت تنتهكها؟

معاذ الله، بل أنت أصبحت بمعاصيك عبدًا للشيطان، فإن الإنسان بين اثنين : بين الله عز وجل وهو نعم الوكيل، وبين الشيطان الرجيم، فإن أعرضت عن الله تولاك الشيطان، وإن أعرضت عن الشيطان تولاك الرحيم الرحمن.

وكان الشبلي رحمه الله تعالى يبكي ويقول : ليت شعري ما اسمي عندك غدًا يا علام الغيوب؟ وما أنت صانع بي يا غفار الذنوب؟ وبم يختم على عملي يا مقلب القلوب؟

• وسأل المأمون جاريته عن لذة ساعة، ولذة يوم، ولذة شهر، ولذة سنة، ولذة الدهر، ولذة الأبد؟

فقالت : الجماع لذة ساعة، والخمر لذة يوم، والنورة لذة ثلاثة أيام، والعروس لذة شهر، والولد لذة عام، وملاقاة الإخوان لذة الدهر، وعفو الله لذة الأبد.

ورحم الله القائل :

تعصي وتغلق بابك كيلا يرونك ... نسيت أني حاضر ولي عليك رقيب
تزعم بأنك عاقل وأنت من أهل ... وبعت حضرة بنظرة ما ذاك فعل

• قال رجل لداود الطائي رحمه الله : أوصني ! قال : داوِ قروح بطنك بالجوع، واقطع مفاوز الدنيا بالأحزان، وآثر حب الله تعالى على هواك، فما تبالي متى تلقاه؟

• **أيها العاصي :**

قام القوم فما يقعدك، قربوا من الجنان فما يبعدك؟ فتحت لهم الأبواب فما حيرتك؟ هذه الأطلال فأين السؤال؟ هذه الخيام فأين الخدام؟ هذه الربوع فأين الدموع؟ هذه القصور فما هذا القصور؟ هذه القبور فما هذا الفتور؟ هل لك رغبة في مرافقة الصالحين، أو رضيت أن تكون مع الخالفين؟ يا من قلبه أقسى من حجر : خذ نفسك بيد الفكرة واخرج إلى المقابر، وقل لهم : ماذا تتمنون؟ فإنهم لو نطقوا لقالوا : نتمنى ساعة من عمرك نركع فيها ونسجد. ومثِّل نفسك في عرصات القيامة بين المفرطين ترى الوادي قد امتلأ بدموع الأسف، ومثل حسَّك بأصوات المسجونين في النار إذْ يقولون : ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا﴾.

هذا الذي أقلق العباد، وأحرق الأكباد.

أيها العاصي : كيف لك أن تنام الليل وأنت على هذا الحال؟!

تعلق **أيها العاصي** بقطار التائبين لعلك تحمل معهم، تالله ما حدا الحادي إلا وقد قرب الموسم، فإذا فتح لك باب فبادر قبل غلقه.

أيها العاصي :

أما تخيلت نفسك يومًا في ظلمة الليل، فقلت : إن هذا الظلام هو ظلام القبور أو ظلمات القيامة؟ لا، ولكنك دائمًا تقول لنفسك : بعد الظلام نور، والمعاصي على الدوام تطول.

انظر أيها العاصي إلى فعل النساء فإنك حتى لم تقارب فعل امرأة فعار عليك يا عاصي. عار عليك يا عاصي:

• كانت منيرة العابدة ـ رحمها الله ـ إذا جن الليل تقول : ما أشبه هذه الظلمة

بظلمة يوم القيامة، يوم يقوم الناس لرب العالمين، ثم تقوم فتصلي إلى الصباح.

أيها العصاة:

تعالوا بنا نصطلح فباب الرضا قد فتح
وداووا ذا الفؤاد الذي بسيف الجفا قد جرح
أيا مدعى بنا دع الروح ثم انطرح

يا منقطعًا عن ركب السابقين في بيداء الغفلة، إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، فالحق بركب الصالحين.

أيها العاصي: هل تفكرت في معاصيك؟

أيها العاصي: هل تفكرت في معاصيك التي تفعلها وفي نعم الله عليك؟

أما تستحي أن تأكل من رزق الله وتعصيه؟ يا عجبًا لك تأكل رزق الله لتتقوى على فعل المعصية، وتنسى الأيام والسنين ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾.

• كان لبعض الرجال أوقات مناجاة وطاعات فتغيرت، ولم تتغير نعم الله تعالى عليه، فجلس يومًا في خلوة، وقال: يا رب تغيرت خدمتي، ولم تتغير نعمتك عليَّ، أشهدك أني قد تبت إليك.

ورحم الله القائل:

فيا من بات يخلو بالمعاصي وعين الله شاهدة تراه
أما تخشى من الديان طردًا وتحرم دائمًا أبدًا نداه
تبارز بالمعاصي منك مولى على جهل يراك ولا تراه
أتعصي الله وهو يراك دان إليك وليس تخشى من سطاه
وتنكر فعلها وله شهود بمكتوب عليك وقد حواه
فويل العبد من صحف وفيها مساويه إذا وافى مساه

ويا حزن المسيء بشؤم ذنب ... وبعد الحزن يكفيه جزاه
ويندم حسرة من بعد فوت ... ويبكي حين لا يجدي بكاه
يعض يديه من ندم وحزن ... ويندب حسرة ما قد عراه
فكن بالله ذا ثقة وحاذر ... هجوم الموت من قبل أن تراه
وبادر بالمتاب وأنت حي ... لعلك أن تنال به رضاه

• وهذه هي أم الربيع بن خثيم لما رأت كثرة بكائه، قالت : يا بني لعلك قتلت قتيلًا فأنت خائف من ذنوبه؟!

قال : نعم يا أماه.

قالت : قل لنا من هو، لعلنا نطلب من أهله أن يسامحوك، فوالله لو رأوا ما تصنع بنفسك لرحموك.

قال : يا أماه إنما هي نفسي قتلتها بتقصيري في حقوق الله تعالى.

اسمع أيها العاصي : اسمع يا مسكين عن صفات الصالحين، صفات هؤلاء الأقوام، كتموا الغرام، ولزموا الهيام، وأفشوا السلام، وبذلوا الطعام، وأداموا الصيام، وصلوا بالليل والناس نيام، وجانبوا الآثام، وانفردوا عن الأنام، وخلوا لمناجاة الملك العلام، أطاعوه في الخلوات، فمحا عنهم السيئات، ورفع لهم الدرجات، ركبوا بحر الندامة، وأقلعوها بريح الملامة، فوصلوا إلى بر السلامة، طهر قلوبهم، وستر عيوبهم، وغفر ذنوبهم، وبلغهم مطلوبهم، عرفوه فألفوه ورأوه أهلًا للعبادة فعبدوه، ووجدوا الربح في معاملته فعاملوه، وعلى الصدق والوفاء بايعوه، في حكم قبضة التدبير حيارى، ما بين قتيل وأسير، قد أسبلوا العبرات على الوجنات، وواصلوا الزفرات بالحسرات، ونادوا يا من لا تحيط به الجهات، ولا تختلف عليه الأصوات، أنقذنا من ظلم الآفات، إلى نور إدراك الصفات، يا من يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات.

• صلَّى علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ صلاة الصبح فلما سلَّم انفتل عن يمينه وعليه كآبة، فمكث حتى طلعت الشمس ثم قلب يديه، وقال: والله لقد رأيت أصحاب رسول الله ﷺ وما أرى أحدًا اليوم يشبههم، كانوا يصبحون شعثًا غبرًا صفرًا، قد باتوا لله سجدًا وقيامًا، يتلون كتاب الله تعالى، يراوحون بين أقدامهم وجباههم، وكانوا إذا ذكر الله عز وجل مادوا كما تميد الشجرة في يوم ريح، وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم، ثم نظر إلى الذين حوله وقال: كأن هؤلاء باتوا غافلين، فلم يضحك رضي الله عنه حتى قتل.

فهل رأيت لك صفة فيهم أيها العاصي؟ وهل بِتَّ الليل ساجدًا لله، أم بِتَّهُ عاكفًا على المعصية؟!

• كان أبو مسلم الخولاني ـ رحمه الله تعالى يعلق سوطًا بالليل، ويقف للصلاة، فكلما فتر عن الصلاة ضرب نفسه ويقول: أنت أحق بالضرب من دابتي.

وكان السلف الصالح إذا بلغ أحدهم أربعين سنة طوى فراشه.

ويقول ابن القيم ـ رحمه الله [١]: إن العبد لا يزال يرتكب الذنب حتى يهون عليه ويصغره في قلبه، وذلك علامة الهلاك، فإن الذنب كلما صغر في عين العبد عظم عند الله الرب.

ويقول ﷺ: « **إن المؤمن يرى ذنوبه كأنها في أصل جبل يخاف أن يقع عليه وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه، فقال به هكذا فطار** » [٢].

• وقال ثابت البناني ـ رحمه الله: كان شاب على عهد رسول الله ﷺ يلبس

---

(١) انظر «الداء والدواء» للعلامة ابن القيم الجوزية ـ رحمه الله ـ تحقيق الشيخ محمد عبد الملك الزغبي ـ ط. دار المنار.

(٢) الحديث: صحيح، أخرجه البخاري (١٠/ ١٠٢) في الدعوات ـ باب التوبة «ح»(٦٣٠٨).
قال ابن أبي جمرة: السبب في ذلك أن قلب المؤمن منور، فإذا رأى من نفسه ما يخالف ما ينور به قلبه عظم الأمر عليه، والحكمة في التمثيل بالجبل: أن غيره من المهلكات قد يحصل التسبب إلى النجاة منه بخلاف الجبل إذا سقط على الشخص لا ينجو منه عادة.اهـ

ويتزين، فلما مات رسول الله ﷺ اجتهد في العبادة، فقيل له: لو فعلت هذا في عهد رسول الله ﷺ لقرت عيناه بك، فقال: كان لي أمانان فمضى أحدهما ولم يَبْقَ لي إلا الآخر قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾، وقد مات رسول الله ﷺ ولم يبق إلا الاستغفار والاجتهاد في العبادة.

وقال بعض السلف - رحمه الله: العبادة حسنة، وهي في الشباب أحسن، والمعاصي قبيحة، وهي في الشيوخة أقبح.

أيها العاصي:

اترك المعاصي، وعلى ربك أقبل فعنده تزول المعاصي، يا من أنت له عاصي، وهو لك غير ناسي، ويل لك من المآسي.

أيها العاصي: هم القوم فالْحقْ بهم

• قال مالك بن دينار - رحمه الله: بينما أنا أطوف بالبيت وإذا أنا بامرأة تدعو وتقول: أتيتك من شقة بعيدة، مؤملة معروفك فأعطني من معروفك ما تغني به عن معروف غيرك، يا من هو معروف بالمعروف. فأخبرت أيوب السجستاني بها، فقصدنا منزلها، فسلمنا عليها، ثم قال أيوب: لو تزوجت رجلًا يعينك على ما أنت عليه؟ فقالت: لو كان مالك بن دينار أو أيوب السجستاني، فقلت: أنا مالك، وهذا أيوب، فقالت: أُفٍّ لكما لقد ظننت أن ذِكْرَ الله أشغلكما عن محادثة النساء، ثم تركتهما وذهبت إلى صلاتها.

تالله لو أردت المسير لما التفت إلى الأوطان، ولو ذقت حلاوة الخلوة بالمولى، لما سكنت إلى مؤانسة الخلان.

يا من يحدث نفسه	بدخول جنات النعيم
إن كنت متقيًا	فأنت على صراط مستقيم
لا ترجون سلامة	من غير ما قلب سليم

فاسلك طريــق المتقين وظن خيرًا بالكـريــم
واذكر وقوفــك خـائفًا والناس في أمــر عظيـم
إما إلى دار الشـقـاوة أو إلى النعيم المقيـم
فاغنم حياتك واجتهـد وأنب إلى الرب الرحيـم

• قال أحمد بن علي : استأذنا على عفيرة، فحجبتنا، فلازمنا الباب، فلما علمت ذلك قامت، وهي تقول : اللهم إني أعوذ بك ممن جاء يشغلني عن ذكرك، ثم فتحت الباب فدخلنا وسألناها الدعاء، فقالت : جعل الله قراكم المغفرة. ثم قالت : مكث عطاء السلمي أربعين سنة لا يرفع بصره إلى السماء، فحانت منه يومًا نظرة فخر مغشيًا عليه، فيا ليت عفيرة إذا رفعت طرفها إلى السماء لم تَعْصِ الله، ويا ليتها إذا عصت الله لم تعد.

هلَّا نظرت **أيها العاصي** كم من المرات رفعت بصرك إلى السماء، وأنت عاكف على السيئات، أما تستحي من الله الذي يراك؟!

يقول العلامة ابن القيم الجوزية ـ رحمه الله تعالى [1] : قد أخرج الله سبحانه الأبوين من الجنة بذنب واحد ارتكباه وخالفا فيه نهيه، ولعن الله إبليس وطرده من ملكوت السموات والأرض بذنب واحد ارتكبه وخالف فيه أمره، ونحن معاشر العصاة كما قيل :

نصل الذنوب إلى الذنوب درج الجنان لدى النعيم الخالد
ولقد علمنا أخرج الأبوين من ملكوته الأعلى بذنب واحد

اترك **أيها العاصي** جنة الدنيا، وأقبل على جنة المأوى، فيا ويحك تبيع الدائم بالزائل، والرابح بالخاسر، وتبيع طاعة الرحمن بطاعة الشيطان ! يقول ﷺ :« الدنيا

(١) انظر «الداء والدواء» تحقيق الشيخ محمد عبد الملك الزغبي. ط. دار المنار ـ فياض.

سجن المؤمن وجنة الكافر»[١].

وقال بعض السلف: إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق امرأتي ودابتي.

وكانت امرأة بطبرية يقال لها: زينب غلبها النوم في بعض الليالي، فسمعت قائلًا يقول:

صلاتك نور والعباد رقود ... والعبادة نور فقومي فصلي

وخرجت يومًا فاندقت أصبعها، فاجتمع عندها قوم من الرجال والنساء يعزونها في أصبعها، فقالت لهم: لذة الثواب أشغلتني عن وجع الأصبع. رحمها الله تعالى.

• وكان رجل من الزهاد متزوجًا بامرأة يقال لها: جوهرة، فقالت له في بعض الأيام: هل النساء يحلون في الجنة؟ فقال لها زوجها: نعم. فوقعت مغشيًا عليها، فلما أفاقت سألها عن ذلك، فقالت: خشيت حرمان الآخرة، ثم رأت في منامها خيامًا مضروبة فقالت: لمن هذه؟ قيل: للمتهجدين: فكانت بعد ذلك لا تنام من الليل إلا قليلًا، وتقول:

أما الخيام فإنها كخيامهم ... وأرى نساء الحي غير نسائها

هلَّا نظرت أيها العاصي، كيف شغلهم حب الله عن المعاصي، فكيف بك وأنت عاص، هن نساء فبأى شيء فضلت عليهن أبفعل المعاصي؟!

اعلم **أيها العاصي** أن الأيام دول، والذي تفعله أنت اليوم لا بد يومًا

---

(١) الحديث: صحيح، أخرجه مسلم في «صحيحه» (٤/ ٢٢٧٢) ـ كتاب الزهد ـ (٥٣) «ح»(١/٢٩٥٦).. والترمذي في«السنن»(٤/ ١٤٥) ـ كتاب الزهد ـ باب (١٦) «ح» (٢٣٣١) وقال: حديث حسن صحيح. وابن حبان في «صحيحه» (٦٨٧). وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى: معناه أن كل مؤمن مسجون ممنوع في الدنيا من الشهوات المحرمة والمكروهة ـ مكلف بفعل الطاعات، فإذا مات استراح من هذا وانقلب إلى ما أعد الله تعالى له من النعيم الدائم، والراحة الخالصة من المنغصات. وأما الكافر فإنما له من ذلك ما حصل في الدنيا مع قلته وتكديره بالمنغصات، فإذا مات صار إلى العذاب الدائم وشقاء الأبد، وانظر «رياض الصالحين» برقم (٤٧٠) بتحقيق المؤلفين.

مفعول بك غدًا.

[أيها العاصي - الأمر قصاص

وفي الآخرة عذاب

• روي أن امرأة صالحة كان لها زوج يصوغ الحلى، ولها رجل سقا (أي: يأتيها بالماء) يدخل عليها منذ ثلاثين سنة لا ينظر إليها، فدخل يومًا وقبض على يدها بشدة، فلما جاء زوجها قالت له: هل وقع منك اليوم ذنب؟ قال: لا، غير أن امرأة اشترت مني سوارًا فلما رأيت يدها أعجبتني، فقبضت على معصمها بشدة. فقالت: دقة بدقة ولو زدت لزاد السقا. وقع القصاص وقع القصاص.

أيقظان أنت اليوم أم أنت نائم ... وكيف يطيق النوم جنان هائم
فلو كنت يقظان الغداة لخرقت ... مدامع عينيك الدموع السواجم
بل أصبحت في النوم الطويل ... إليك أمور مفظعات عظائم
فلا أنت في الإيقاظ يقظان ... ولا أنت في النوام ناج وسالم
نهارك يا مغرور سهو وغفلة ... وليلك نوم والردى لك لازم
وتشغل فيما سوف تكره غبه ... كذلك في الدنيا تعيش البهائم
يغرك ما يفنى وتفرح بالمنى ... كما غر باللذات في النوم حالم

• لما سمع بعض الملوك بأمر القصاص أراد تجربته في ابنته، وكانت ابنته غاية في الجمال، فأمر امرأة فقيرة أن تطوف بها في الأسواق وهي مكشوفة الوجه، وأن لا تمنع من تعرض لها بشيء، فما مر بها أحد إلا أطرق رأسه ولم يمد نظره إليها حياء منها، فلما رجعت وقربت من دار الملك أمسكها إنسان فقير وقبلها ثم ذهب، فدخلت بها على الملك، فسألها عما حصل لها فأخبرته، فسجد شكرًا لله تعالى وقال: الحمد لله ما وقع مني في عمري قط إلا قبلة واحدة في امرأة وقد اقْتُصَّ مني بها.

أيها العصاة :

كأنكم بأيام الشباب قد أبلتها يد المنون، وقد أظلكم من فجاءة الموت ما كنتم توعدون، ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[الزمر: ٦٨] فكيف بك يابن آدم إذا نفخ في الصور، وبعثر ما في القبور، وحُصِّلَ ما في الصدور، وضاقت الأمور، وظهر المستور، وخرج الخلائق من القبور، فإذا هم قيام ينظرون؟! يا له من يوم عظيم فيه الزلزال، وسيرت الجبال، وترادفت الأهوال، وانقطعت الأمال، وقل الاحتيال، وخَرَّ أصحاب الشمال، وخرجوا من القبور بنفخة الصور يرجفون، فإذا هم قيام ينظرون، يوم تزل فيه الأقدام، وتتبلد فيه الأفهام، ويطول فيه القيام، وتظهر الآثام، وينقطع الكلام.(١)

هل تذكرت **أيها العاصي** هذه الأمور، التي كنت حولها تدور، وكنت تفعلها وأنت مرخي الستور؟ فهذا هو اليوم الذي فيه تبور، وعليك دائرة الحق تدور.

ورحم الله القائل :

تغسل من الطبع ثوبك وتخشى الناس

وقلبك أضحى أسودًا ما تغسله بمتاب

الناس تنظر ثيابك والحق ينظر باطنك

فاغسل ثياب البان تكتب من الأحباب

يا ناقض العهد تعلم بأن ربك مطلع

على فعالك وتخشى أن تعلم بك

---

(١) انظر كتاب «يوم القيامة يوم الحسرة والندامة» (تحت الطبع) وفيه كثير من العبر والعظات التي تتساقط منها العبرات ـ للشيخ / محمود الزغبي.

وقال آخر:

تذكرت أيامي وما كان في الصبا
من الذنب والعصيان والجهل والجفا
وكيف قطعت العمر سهوًا وغفلة
فأسكبت دمعي حسرة وتلهفًا
وناديت من لا يعلم السر غيره
ومن وعد الغفران من كان قد جفا
وعاد إليه من كبار ذنوبه
فجاد عليه بالجميل تعطفًا
أغثني إلهي واعف عني فإنني
أتيت لئيمًا مذنبًا متلهفًا

[[احذر أيها العاصي

أحذرك **أيها العاصي** من أمور لا بد أنك ذائقها، وويل لك من مرارتها، فإنها تكفي لتحويل الصحيح إلى سقيم:

من خوف العذاب الأليم:

أولًا: القبر وظلمته:

أيها العاصي هل تذكرت أو تفكرت في القبر وظلمته؟ وكيف بك إذا جاءك منكر ونكير وأنت وحدك بمعاصيك أسير، ماذا تفعل يا أسير المعاصي؟! ذنوبك معك في عنقك يا ويلك أين المفر؟ ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾[القيامة:١١،١٢].

قال الحسن البصري رحمه الله: أبى الله إلا أن يذل من عصاه في الدنيا والآخرة بين الناس، وما أذنب عبد في الليل إلا وأصبح ومذلته على وجهه بالنهار.

وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول في قوله تعالى : ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف:٤٩] ضجوا من الصغائر قبل الكبائر.

وكأني للقبر معاتبًا فيقول بقول القائل :

يا صاحب الخطايا أين الدموع الجارية؟!

يا أسير المعاصي ابْكِ على الذنوب الماضية.

يا مبارزًا بالقبائح أتصبر على الهاوية؟!

يا ناسيًا ذنوبه، والصحف للمنسي حاوية، أسفًا لك إذا جاءك الموت وما أنبت، واحسرة لك إذا دعيت إلى التوبة فما أجبت !

• قال ذو النون المصري رحمه الله : مررت يومًا ببعض الأسواق فرأيت جنازة محمولة على أربعة وليس معها أحد، فقلت : والله لأكونن خامسهم لأنال الأجر والثواب، فلما أتوا الجبانة قلت : أين وَلِيُّ هذا الميت فيصلي عليه؟ فقالوا : يا شيخ إنَّا في الأمر سواء، ليس منا أحد يعرفه، فتقدمت وصليت عليه، وأنزلناه في لحده وحثونا عليه التراب، فلما هَمُّوا بالانصراف، قلت لهم : ما شأن هذا الميت؟ فقالوا : لا نعرف خبره غير أن امرأة اكترتنا لنحمله إلى هذا المكان وهي لاحقة بنا الآن، فبينما نحن في الحديث، إذ جاءت امرأة عليها سمت الخير والصلاح، وهي باكية العين حزينة القلب، فلما وقفت على القبر رفعت يديها إلى السماء ودموعها تذرف وظلت تدعو ثم سقطت على الأرض مغشيًا عليها، ثم أفاقت بعد ذلك وهي تبتسم، فقلت لها: أخبريني عن خبرك وخبر هذا الميت، وكيف الابتسامة بعد هذا البكاء الشديد؟ فقالت : من أنت؟ فقلت : ذو النون، فقالت : لولا أنك غريب في عصرك لما قلت لك. هذا ولدي وقرة عيني كان تائهًا بشبابه، لم يَدَعْ سيئة إلا ارتكبها ولا معصية إلا سعى إليها وطلبها، وقد بارز مولاه العلام بالمعاصي والآثام، فحصل له يومًا من الأيام ألم من الألام، منذ ثلاثة أيام، فلما عاين الموت قال : يا أماه سألتك بالله إلا ما

قبلت وصيتي؟ إذا أنا مت فلا تعلمي بموتي أحدًا من أصحابي ولا إخواني ولا جيراني فإنهم لن يترحموا عليَّ لسوء فعالي وكثرة ذنوبي وجهلي، ثم بكى وقال :

لي ذنــــوب شغــلتني ... عن صيامي وصـــــلاتي
تركت جســـمي علـــيلًا ... مـــات من قبل وفـــاتي
ليتـــني تبت لـــــربي ... مـــن جميع السيئـــات
أنـــا عبـــدك يـــا إلهـــي ... هائـــم في الـــفلـــوات
بحت جـــهـــرًا بعيـــوبي ... وذنـــوبي قـــاتـــلاتي
قـــد تـــوالت سيئـــاتي ... وتـــلاشت حـــسنـــاتي

ثم بكى وقال : يا أماه آه على ما فرطت في جنب الله ! آه على قلبي ما أقساه ! بالله عليك يا أماه إذا أنا مت فضعي خَدي على الأرض والتراب وضعي قدمك على الخد الآخر، وقولي : هذا جزاء عبد عصى الله وخالف أمره واتبع هواه، فإذا دفنتيني فارفعي يدك إلى الله عز وجل وقولي : اللهم إني رضيت عنه فارض عنه. فلما مات فعلت به جميع ما أوصاني به، فلما رفعت رأسي إلى السماء سمعت صوتًا بلسان فصيح يقول : انصرفي يا أماه فإني قابلت ربي فوجدته كريمًا غير غضبان عليَّ[1].

آه عليك يا عاصي، والله كأني أراك في القبر وحدك وأقول لك بقول يزيد الرقاشي[2]:

أيها المقبور في حفرته، المتخلي في القبر بوحدته، المستأنس في بطن الأرض

---

(١) انظر «بستان الواعظين» للعلامة ابن الجوزي - رحمه الله - تحقيق المؤلفين ط. دار المنار.

(٢) هو : يزيد بن أبان الرقاش البصري ، أبو عمرو الزاهد ، وهو متروك عند علماء الحديث. قال النسائي وغيره : متروك، وقال الدارقطني وغيره : ضعيف، قال يزيد بن هارون : سمعت شعبة يقول : لأن أزني أحب إليَّ من أن أحدث عن يزيد بن الرقاش. وقال الإمام أحمد : إنما بلغنا هذا في أبان ثم قال : كان يزيد منكر الحديث. وقال ابن معين : في حديثه ضعف. وقال الفلاس. ليس بالقوى انظر «ميزان الاعتدال» (٦/ ٩٢) برقم (٩٦٦٩)، والتهذيب (١١/ ٣٩-٣١١)، وانظر كذلك «تنبيه الغافلين» (ص/ ٤٣) تحقيق الشيخ / محمد عبد الملك الزغبي. ط. دار المنار.

بأعماله، ليت شعري بأي أعمالك استبشرت، وبأي أحوالك اغتبطت؟!

آه عليك! فإن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار[1] والعياذ

---

(١) قلت: هذا الكلام لم يصح مرفوعًا؛ لأن في إسناده ضعف، ولكن المتن صحيح، كذا قال الطحاوي رحمه الله تعالى، ومن المعلوم أن الحديث قد يصح سندًا ولا يصح متنًا، مثال: حديث عبد الله بن يزيد في صفة وضوء النبي صلى الله عليه وسلم مسح برأسه بماء غير فضل يده، فقد رواه مسلم بهذا اللفظ من طريق ابن وهب، ورواه البيهقي من طريقه أيضًا بلفظ أنه: أخذ لأذنيه ماء خلاف الماء الذي أخذه لرأسه، ورواية البيهقي شاذة؛ لأن رواية البيهقي عن ابن وهب ثقة لكنه مخالف لمن هو أكثر منه حيث رواه جماعة عن وهب بلفظ رواية مسلم، وعليه فرواية البيهقي غير صحيحة وإن كان رواتها ثقات لعدم سلامتها من الشذوذ.

وعلى هذا إذا قال المحدث: هذا حديث صحيح، فأطلق الحكم ولم يقيد الصحة، فهذا يدل على صحة الحديث سندًا ومتنًا، أما إذا قال: صحيح الإسناد، فالظاهر صحة المتن لعدم العلة، وقال شيخ الإسلام: والذي لا أشك فيه أن الإمام منهم لا يعدل عن قوله: صحيح الإسناد إلا لأمر ما.اهـ.

وعلى النحو الآخر: فقد يكون المتن صحيحًا والسند ضعيفًا، وهذا معلوم عن علماء الحديث جميعًا. وقال السخاوي: إذا تلقت الأمة الضعيف بالقبول يعمل به على الصحيح.. وقال السيوطي - رحمه الله: في شرح «نظم الدرر» المقبول: ما تلقاه العلماء بالقبول وإن لم يكن له إسناد صحيح، وراجع «الأجوبة الفاضلة» (ص/ ٢٢٩).

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله: وإن جملة صفات القبول التي لم يتعرض لها شيخنا (يعني: العراقي) أن يتفق العلماء على العمل بمدلول حديث فإنه يقبل حتى يجب العمل به، وقد صرح بذلك جماعة من أئمة الأصول.. وراجع «النكت على ابن الصلاح» (١/ ٤٩٥) لابن حجر - رحمه الله تعالى.

وعلى هذا يفهم مما قاله العلماء: أن تلقي الأمة للحديث بالقبول يعتبر تصحيحًا له وإن لم يصح له إسناد. وهذه القاعدة يجب التفطن إليها؛ لأني رأيت ما نقله الشيخ أبو غدة في تحقيقه على كتاب «الرفيع والتكميل» عن الشيخ الكوثري - رحمه الله: حيث يقول متعقبًا الإمام البخاري - رحمه الله في قوله: لم أكتب إلا عمن قال: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص (انظر «فتح الباري» (١/ ٤٦-٤٧) الإيمان) يقول الشيخ معقبًا على كلام الإمام: من الغريب أن بعض من يعدونه من أمراء المؤمنين في الحديث.. وإني لم أخرج في كتابي عمن لا يرى أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص غير ثابت عند النقاد، ولا التفات إلى المتساهلين ممن لا يفرقون بين الشمال واليمين..إلخ.

أقول والله المستعان: كلام كلًا من الكوثري - رحمه الله، والشيخ أبي غدة غير صحيح ومخالف لمذهب أهل السنة والجماعة ونأتي بالدليل.

الدليل الأول: يقول الله تعالى ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ يقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله: أي: إلى إيمانهم، أي بما يشهدون من صدق إخبار النبي صلى الله عليه وسلم، انظر «التفسير» (٤/ ٥٧٢) ط. دار الفيحاء - السلام.

ويقول تعالى: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ قال الحافظ ابن كثير: دليل على زيادة الإيمان وقوته بالنسبة إلى الناس وأحوالهم، كما قال جمهور الأئمة: إنه يزيد وينقص، وقد قررنا ذلك في أول شرح البخاري...اهـ.

انظر «تفسير ابن كثير» (٥/ ٤٣٨) ط. دار الأندلس بيروت.

ثانيًا: يقول الإمام النووي - رحمه الله: والأظهر والمختار أن التصديق (والإيمان لغة: التصديق) يزيد وينقص بكثرة

بالواحد الجبار.

هل رأيت أيها العاصي شخصًا يحتضر؟ هل نظرت إليه وتخيلت نفسك مكانه وروحك روحه؟ فيالك من مسكين!

[[فتفكـــر يـــا مغـــرور

فتفكر يا مغرور في الموت وسكرته، وصعوبة كأسه ومرارته، فيا للموت من وعد ما أصدقه، ومن حاكم ما أعدله، كفى بالموت مقرحًا للقلوب، ومبكيًا للعيون، ومفرقًا للجماعات، وهادمًا للَّذَّات، وقاطعًا للأمنيات.

فهل تفكرت يابن آدم في يوم مصرعك، وانتقالك من موضعك؟ وإذا نقلت من سعة إلى ضيق، وخانك الصاحب والرفيق، وهجرك الأخ والصديق، وأخذت من فراشك وغطائك إلى عرر، وغطوك من بعد لين لحافك بتراب ومدر، فيا جامع المال، والمجتهد في البنيان، ليس لك والله من مال إلا الأكفان، بل هي والله للخراب والذهاب، وجسمك للتراب والمآب.

[[أيها العاصي : هذا هو خوف الصالحين

النظر ووضوح الأدلة ، ولهذا كان إيمان الصديق أقوى من إيمان غيره بحيث لا يعتريه الشبهة.

ثالثًا : قوله صلى الله عليه وسلم «الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاها: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق»، وفي رواية «بضع وستون» صحيح. أخرجه البخاري (١/ ٥١) ومسلم (٢/ ٦).

وراجع شرح هذا الحديث للعلامة ابن القيم في كتابه «الصلاة»(ص/ ٢٤-٢٥).

أقول لهذا الشيخ: أما يكفيك هذا وقد نقل ابن كثير قول الجمهور بقوله : كما قال جمهور الأئمة؟ فأين أنت من هؤلاء حتى تستخف بالإمام البخاري أنت وشيخك ـ رحمه الله؟ والله لولا مخافة التطويل في غير الموضع لصنفت في هذا العديد من الورقات، ولكن حسبنا ما ذكرناه في الرد على الشيخ أبي غدة عفا الله عنه وعنا بكرمه ، ويشهد للحديث الأول حديث «إن القبر أول منزل من منازل الآخرة ، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه»وهذا الحديث : حسن ، أخرجه أحمد في«المسند»(١/ ٦٣-٦٤) وابن ماجه في«السنن»(٢/ ١٤٢٦) كتاب الزهد (٣٧) باب (٣٢) «ح»(٤٢٦٧) ، والترمذي في«السنن»(٤/ ٥٥٣) - كتاب الزهد (٣٧) باب (٥) «ح»(١٣٠٨)، وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث هشام بن يوسف ، وأخرجه الحاكم وصححه ، وانظر «كشف الخفا»(٢/ ١١٨) «ح»رقم (١٨٥٢) وحسنه الشيخ الألباني. وراجع«المشكاة» برقم (١٣٢) و«صحيح الجامع»برقم (١٦٤٨).

فأيـــن خوفـــك؟!

• هذا هو الحسن البصري - رحمه الله : يدخل على مريض يعوده وهو في سكرات الموت، فنظر إلى كربه، وشدة ما نزل به، فرجع إلى أهله بغير اللون الذي خرج به من عندهم، فقالوا له : الطعام يا إمام يرحمك الله، فقال : يا أهلاه عليكم بطعامكم وشرابكم، فوالله لقد رأيت اليوم مصرعًا لا أزال أعمل له حتى ألقاه.

• ولما حضرت الوفاة معاوية بن أبي سفيان قال : اللهم ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي اللهم أقل عثرتي، واغفر ذَلَّتِي، وجد بحلمك على جهل من لم يثق بأحد سواك، ولم يرج غيرك، ثم بكى حتى علا نحيبه رضي الله عنه.

فهل نظرت **أيها العاصي** إلى هذه المواعظ عَلَّ قلبك أن يرق ولسانك يذكر الله؟!

• وكان ابن الدستوائي رحمه الله تعالى إذا خرج إلى زيارة القبور وقف يبكي ويعود إلى بيته، لا يسرج فيه سراجًا لمدة ثلاثة أيام، ويمكث في الظلام. فقال له الناس في ذلك؟ قال : أتخيل نفسي في ظلمة القبر وحدي. رحمه الله تعالى.

ها هم العلماء يخافون وأنت **أيها العاصي** لا تخاف ! يا مطلقًا نظره في المحرمات، يا مستبيحًا للشهوات، **يا** مغرورًا باللَّذَّاتِ الفانيات، هلا اعتبرت بأقوام أخرجوا من ديارهم وقد تمسكوا بحبل اغترارهم، ولم يقبل منهم قول في اعتذارهم عندما نادى المنادي : ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾؟!

وصدق القائل :

أنـــا مشغـــول بذنبي ... عـــن ذنـــوب العالمينـا

وخطـــايـــا أثقلتنـــي ... تـــركـت قلبي حزينـــا

صـرت في الأرض وحـيدًا ... في جـــوار الهالكينـــا

بعـد مـــا كنـت جـــليلًا ... في عيـــون الناظرينـــا

صرت في ظلمة قبري ثاويًا فيها رهينا
وتركت المال والأهل لعمري والبنينا
ولقد عمرت دهرًا وشهورًا وسنينا
في نعيم وسرور فوق وصف الواصفينا
وملكت الشرق والغرب وكان الملك فينا
وفتحت المدن قهرًا وغلبت الغالبينا
فأتى الموت علينا بعد هذا ففنينا
أيها المغرور بادر لثواب الصالحينا
الذي صح لدينا وعلمناه يقينا
إنَّ حيًّا ليس يبقى غير رب العالمينا

قال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى : قلت لأم هارون العابدة : أتحبين أن تموتي؟ قالت : لا، قلت : ولم؟ قالت : والله لو عصيت مخلوقًا لخفت لقاءه فكيف بالخالق جل جلاله؟!

وقال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم : يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟

قال : لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة، فأنتم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب.

قال يا أبا حازم : كيف القدوم على الله تعالى؟

قال : يا أمير المؤمنين أما المحسن فكالغائب يأتي أهله فرحًا، وأما المسيء فكالعبد الآبق يأتي مولاه خائفًا محزونًا .

وكان بعض السلف يمشي مع أصحابه فعندما مَرَّ على مكان ما احمرَّ وجهه، وعرق جبينه، فسألوه عن ذلك فقال : لقد تذكرت والله ذنبًا فعلته هنا وأنا صغير.

رحم الله السلف... آمين.

ورحم الله القائل :

وكيف يلذ العيش من هو عالم ... بأن إله الخلق لا بد سائله
فيأخذ من ظلمه لعباده ... ويجزيه بالخير الذي هو فاعله
وكيف يلذ بالعيش من كان ... إلى لحد (١) قبر فيه تبلى شمائله
ويذهب رسم الوجه من بعد ... قريبًا ويبلى جسمه ومفاصله

ثانيًا : النار وأهوالها :

يقول الغزالي ـ رحمه الله ـ :

يا أيها الغافل عن نفسه، المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال، دع التفكير فيما أنت مرتحل عنه، واصرف الفكر إلى موردك، فإنك أخبرت بأن النار مورد للجميع إذْ قيل : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم : ٧١، ٧٢] فأنت من الورود على يقين، ومن النجاة في ذلك، فاستشعر في قلبك ما قاسوا، فبينما هم في كربها وأهوالها، وقوفًا ينظرونْ حقيقة أنبائها، وتشفيع شفعائها، إذْ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب، وأَظَلَّتْ عليهم نارًا ذات لهب، وسمعوا لها زفيرًا وجرجرة، تفصح عن شدة الغيظ والغضب، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب، وجثت الأمم على الركب، حتى أشفق البراء =من سوء المنقلب، وخرج المنادي من الزبانية قائلًا : أين فلان بن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الأمل، المضيع عمره في سوء العمل، فيبادرونه بمقامع من حديد، ويستقبلونه بعظائم التهديد، ويسوقونه إلى العذاب الشديد، وينكسونه في قعر الجحيم، ويقولون له : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ

---

(١) اللحد : هو الشق في عرض القبر جانب القبلة ، والشق : هو الضريح ، وهو الشق في وسط القبر ، وفي الحديث «اللحد لنا والشق لغيرنا» أخرجه أبو داود (٣/ ٥٤٤) كتاب الجنائز (١٥) «ح»(٣٢٠٨) والترمذي (٣/ ٣٦٣) ـ كتاب الجنائز (٨) «ح»(١٠٤٥) وقال : حديث حسن غريب من هذا الوجه وابن ماجه (١/ ٤٩٦) ـ كتاب الجنائز (٦) «ح»(١٥٥٤) والنسائي (٤/ ٨٠) والبيهقي في «الكبرى»، (٣/ ٤٠٨)، وصححه الألباني (ص ؟؟؟ج (٥٤٨٩).

﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] فأسكنوا دارًا ضيقة الأرجاء، مظلمة المسالك، مبهمة المهالك، يخلد فيها الأسير، أمانيهم فيهم الهلاك، وما لهم منها فكاك[1].

أيها العصاة:

ما الذي أعددتم من حلاوة الطاعة لتجرع مرارة الموت؟ وما الذي قدمتموه من زاد التقوى قبل حلول الفوت؟ وما الذي حجب أسماع الغافلين عن سماع الصوت؟ يا من خلا بالمعاصي ليتك ما خلوت، كم ينادي الغافلين منادي المواعظ فلا يستجيبون: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم:٣٩].

قال إبراهيم التيمي - رحمه الله: مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها، ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها، ثم قلت لنفسي: ما تريدين؟ قالت: أُرَدُّ إلى الدنيا فأعمل صالحًا، قلت: فأنت في الأمنية فاعملي.

---

(١) انظر «إحياء علوم الدين» بتحقيق الشيخ محمد عبد الملك الزغبي - ط. دار المنار.

أيها العاصي: هل لك صبر على النار؟!

أتصبر أيها العاصي على نار جهنم وقد قال ﷺ: «ناركم جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم»، قيل: يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: «فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا كلهن مثل حرها».(١)

أيها العصاة:

أما تعتبرون بهذه الأحوال؟

أما تشفقون من نار جهنم والأنكال؟

أما تحذرون سلاسلها والأغلال؟

واعجباه لمن كان في الجنة في ظهر أبيه كيف يدخل نارًا وقودها الناس والحجارة؟!

وصدق القائل:

إذا برزت ليوم العرض نار ... لها الناس الوقود مع الحجارة

يفر المرء حقًّا من أخيه ... وينكر في المعاد من استزاره

فلا الخل الحميم يغيث خلًّا ... ولا الجار المجير يجير جاره

وقد برز الجليل لفصل حكم ... ونشرت الصحائف مستطارة

فيفتضح المسيء بقبح فعل ... ومن يك محسنًا فله البشارة

• وقال إبراهيم ابن أدهم: كان إبراهيم التيمي - رحمه الله: يبول في صحن داره، فخرج ليلًا من حجرته ليبول فيه، فلم يزل شاخصًا إلى الصباح، فقيل له في ذلك؟ فقال: لما أردت أن أبول تذكرت أهل النار وما هم فيه فلا زالوا يعرضون عليَّ بسلاسلهم وقيودهم إلى الصباح فلم يأخذني نوم.

---

(١) الحديث: صحيح، أخرجه البخاري - مواقيت الصلاة (٥٢٧) وأطرافه في (٢٧٨٢).

هل نظرت أيها العاصي إلى حرارة الشمس ونارها؟

وكان داود يقول في أيام الحر : إلهي لا صبر لنا على حر شمسك، فكيف نصبر على حر نارك؟!

وقال رسول الله ﷺ: «اشتكت النار إلى ربها وقالت : أكل بعضي بعضًا فجعل لها نفسين : نفسًا في الشتاء، ونفسًا في الصيف، فأما نفسها في الشتاء فزمهرير، وأما نفسها في الصيف فسموم»[1].

وصدق القائل :

سوداء مظلمة شنعاء موحشة ... دهماء محرقة لواحة للبشر

أعاذنا الله منها ثم عوضنا ... بجنة الخلد بين الروض والزهر

• قال عبد الله بن واسان رحمه الله تعالى : مررت يومًا في أزقة البصرة، فوجدت صبيًّا يبكي وينتحب، فقلت له :يا ولدي : ما الذي يبكيك؟

فقال : خوفًا من النار.

فقلت : يا ولدي أنت صغير السن وتخاف النار؟!

فقال : يا عم نظرتُ إلى أمي وهي توقد النار، فرأيتها تقدم الحطب الصغار قبل الكبار.

فقلت لها : يا أماه لم تقدمين الصغار على الكبار؟!

قالت : يا ولدي ما تشتعل الكبار إلا بالصغار، فهذا الذي أبكاني وهَيَّج لوعتي وأحزاني.

---

(١) الحديث : صحيح ، أخرجه البخاري ـ مواقيت الصلاة (٥٢٧) وأطرافه في (٢٧٨٢). (٥٩٧٠) (٧٥٣٤)، ومسلم في الإيمان (٨٥) والنسائي ـ «مواقيت» (٦٠٩) ، وابن ماجه (٤٣١٩٨) ـ الزهد ـ وابن أبي شيبة في«المصنف» (١٥٨/١٣) والترمذي (٢٦٠١/٤)، وقال : حسن صحيح ، وابن حبان في «صحيحه» (٧٤٦٦/١٦) والبيهقي في «الكبرى»(٤٣٧/١) ومالك (٢٧) «موطأ»، والبغوي (٣٦١) والدارمي (٤٣٠/٢).

فقلت له : يا ولدي هل لك في صحبتي فتتعلم ما ينفعك؟

فقال : على شرط إن قبلته فإني أصحبك وأتبعك.

قلت : وما هو؟

قال الغلام : إن جعت تطعمني؟ وإن عطشت تسقيني؟ وإن أذنبت تغفر لي؟ وإن مت تحييني؟

فقلت له : يا ولدي لا أقدر على ذلك كله.

فقال : يا عم دعني فإني على باب من يقدر على ذلك كله.

وأنشد :

منك أرجو ولست أعرف ربًّا ... أرتجي منه بعض ما منك أرجو
واذا اشتدت الشدائد في الأرض ... على الخلق فاستغاثوا وضجوا
وابتليت العباد بالخوف والجو ... ع فصبروا على الذنوب ولجوا
لم يكن لي سواك ربي ملاذ ... وتيقنت أني بـبـك أنجـو

أيها العاصي : هل تخيلت نفسك في النار؟

أيها العاصي : هل تخيلت نفسك في النار؟!

بلاؤها مدوم، رجاؤها مظلم، شراب أهلها الحميم، وعذاب أهلها أبدًا مقيم، لهم فيها بالويل ضجيج، وبالثبور دعاء وعجيج.

مَثِّلْ وقوفك يوم العرضِ عُرْيَانًا ... مستوحشًا قلق الأحشاءِ حَيْرَانا
والنار تلهب من غيظ ومن حنق ... على العصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدي على مهل ... فهل ترى فيه حرفًا غير ما كانا
فلما قرأت ولم تنكر قراءته ... إقرار من عرف الأمور عرفانا
نادى الجليلُ خذوه يا ملائكتي ... وامضوا بعبد عصى للنارِ عَطْشَانا

المشركون غدًا في النار يلتهبوا والمؤمنون بدار الخلد سكانا

وقال رسول الله ﷺ: «لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معايشهم فكيف بمن يكون طعامه»[1].

وقال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿كَالْمُهْلِ﴾: «أي: كعكر الزيت، فإذا قرب إلى وجهه سقطت فروة وجهه فيه»[2].

وقال رسول الله ﷺ: في ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾: «تشويه النار، تتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته»[3].

وعن النعمان بن بشير أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنذرتكم النار، أنذرتكم النار، أنذرتكم النار» فما زال يقولها حتى لو كان في مقامي هذا سمعه أهل السوق، وحتى سقطت قميصه كانت عليه عند رجليه[4].

كيف بك **أيها العاصي** ورسول الله ﷺ يدعوك فلا تجيبه بل تعرض عنه؟

كيف تلقاه يوم القيامة حين يقول لك: ألأنا أمرتك بفعل هذا؟! فوالله كأني

---

(١) الحديث: صحيح أخرجه الترمذي في «السنن» (٤/ ٧٠٦-٧٠٧) كتاب صفة جهنم (٤٠) «ح» (٢٥٨٥) وقال: حسن صحيح: وأحمد في «المسند» (١/ ٣٠١-٣٣٨) وابن ماجه في «السنن» (٢/ ٤٤٦) كتاب الزهد (٣٧) «ح» (٤٣٢٥)، والحاكم في «المسند» (٢/ ٢٩٤) وقال: صحيح على شرط الشيخين. وأقره ووافقه الذهبي، وفي «موارد الظمآن» (٦٤٩/ «ح» ٢٦١١): المزي في «التحفة» (٥/ ٢١٨-٢١٩) «ح» (٦٣٩٨). وصححه الشيخ الألباني: وراجع «صحيح الجامع» برقم (٥٢٥٠) وفي «المشكاة» برقم (٥٦٨٣).

(٢) الحديث أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٧٠-٧١) والترمذي في «السنن» (٤/ ٧٠٤) ـ كتاب صفة جهنم (٣٠) «ح» (٢٥٨٤) وفي (٥/ ٤٢٦) «كتاب تفسير القرآن» (٤٨) «ح» (٣٣٢٢) والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٦٠٤) وقال: صحيح الإسناد. وأقره ووافقه الذهبي وابن حبان في «صحيحه» وذكره الهيثمي في «موارد الظمآن» (٦٤٩/ «ح» (٢٦١٢) وأبو يعلي في «المسند» (٢/ ٥٢٠) «ح» (١٣٧٥/٤٠١) قلت. وفي إسناده رشدين بن سعد. قال أحمد: حديثه منكر. قال النسائي: ليس بالقوى ـ منكر الحديث. وكذا قال أبو حاتم وراجع «التهذيب» (٣/ ٢٤٠ و١٨١) ـ وإلى هذا أشار الترمذي ـ رحمه الله وجزاه الله عنا خيرًا.

(٣) الحديث أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٨٨) والترمذي في «السنن» (٤/ ٧٠٨) ـ كتاب جهنم (٤٠) «ح» (٢٥٨٧)، وفي (٥/ ٣٢٨) «تفسير القرآن» (٤٨) «ح» (٣١٧٦) وقال: حسن صحيح غريب. والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٤٦) وقال: صحيح الإسناد، وأقره ووافقه الذهبي. وأبو يعلى (٣٩٣/ ١٣٦٧).

(٤) الحديث أخرجه الدارمي في «السنن» (٢/ ٢٣٠)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٦٨-٢٧٢).

بلحمك يتهرئ من فوق عظمك حياءً منه ﷺ.

وانظر إلى هذا القول : قال الحسن البصري رحمه الله تعالى : مساكين قتلة الحسين رضي الله عنه ولو دخلوا الجنة بفضل الله تعالى، كيف يتجرأ أحدهم أن يمر بالنبي ﷺ وقد قتل ولده، (على سبيل التقريب) ووالله لو أنَّ لي مدخلًا في قتله، وخيرت بين الجنة والنار لاخترت النار خوفًا من أن ينظر النبي ﷺ إليَّ في الجنة نظرة غضب تؤذيني وتؤذيه.

فهل تجد في نفسك أيها العاصي مقدرة على تحمل عذاب جهنم أعاذنا الله منها؟!

• كان بعض السلف كلما راودته نفسه إلى المعصية يقول لنفسه سوف أطيعك إذا صبرت، ويضع أصبعه على النار فيصرخ، فيقول لنفسه : لم تصبري على هذه النار فكيف بنار جهنم؟!

ويحك **أيها العاصي** ! حينما تأتي يوم القيامة بأوزار كثيرة، وتشهد عليك الأرض والجوارح بما كنت تفعل، وكنت عن هذا من الغافلين فويحك من رب العالمين.

• كان أبو المليح رحمه الله : إذا ذَكَرَ الله يحصل له طرب ويقول : إنما طربي بذكر الله تعالى لي فإنه سبحانه يقول : ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ وكان إذا مشى في طريق وهو غافل عن ذكر الله رجع ثانيًا وذكر الله فيها ولو مرحلة، ويقول : أحب أن تشهد لي البقاع التي أَمُرُّ فيها كلها يوم القيامة.

فانظر لنفسك **أيها العاصي** لا تقدر أن تذكر الله، وأنت مُصِرٌّ على المعاصي، انظر يذكره الصالحون ويغفل عنه العاصون، فمع من تكون؟!

• يقول عطاء السلمي ـ رحمه الله : لا ينبغي لمن ظلم نفسه أن يذكر الله تعالى إلا بعد التوبة والاستغفار، فإن الله تعالى يلعن الظالم إذا ذكره ما دام مصرًّا .اهـ.

فهل ينجي من النار إلا رب النار، فيا لك من شقي بعدت عن الأبرار وصاحبت الفجار، ومصيرك بإذن الواحد الجبار، نعوذ بالله من هذا البوار.

ورحم الله القائل:

يا ذا الذي قد نام وهنا أو غفا ماذا يفوت النائمين من الوفا؟
قم يا غفولًا عن وصال حبيبه أَجْرِ الدموع على الخدود تأسفا
واسمع ودع عنك التكلف إنه ما طاب من أضحى هواه تكلفا
لي بالعقيق وبين جرعاء الحمى بدر رشيف القد أسمر هيفا

وصدق القائل:

أما سمعت بأكباد لهم صعدت خوفًا من النار فانحطت إلى النار
أما سمعت بضيف في مجالسهم ولا قرار لهم يا صاح في النار
أما سمعت بحيات تدب بها إليهم خلقت من مارج النار
فيا إلهي بإحكام وما سبقت به قديمًا من الجنات والنار
أدعوك أن تحمي العبد الضعيف فما للعبدْ من جسد يقوى على النار
والشمس ما لي عليها قط من جلد فكيف يصبر ذو ضعف على النار؟

أيها العاصي: تفكر في هذه الموعظة

قال محمد بن السماك ـ رحمه الله:

• وصف لي عابد، فَسِرْتُ إليه لأزوره، فوجدته في بيت وقد حفر فيه قبره وهو جالس على شفيره يصلح خوصًا بين يديه، فسلمت عليه فرد عليَّ السلام ردًا ضعيفًا، ثم قال: من أنت؟ فقلت: محمد بن السماك. قال: الواعظ؟ قلت: نعم، فألقى الخوص من يده، وقال: يابن السماك إن الواعظ من المستمع بمنزلة الطبيب من العليل، فاعرض عليَّ شيئًا من وعظك.

فقلت له: يا شيخ أما تخشى أن تكون خطيئتك لا تنسى، وذنبك لا يمحى، ثم كم بين يديك من شدة وأهوال، وكرب وأنكال، فأولها ظلمة النشر، ثم ظلمة الحشر، ثم ظلمة الصراط، ثم وزن الأعمال، ثم قطع الأمال، ثم سطوة الملك المتعال. فبكى بكاء شديدًا، وقال لي: يابن السماك زدني وما بعد ذلك؟

قلت: حمل الأوزار، والورود على النار، وأعظم من ذلك توبيخ الملك الجبار. فصاح صيحة عظيمة ثم سقط في قبره، فخرجت إليه عجوز كبيرة، وجعلت تمسح التراب عن وجهه، وتقول: طالما سهرت هاتان العينان في طاعة الرحمن، وطالما بكتا من خشية الله، ثم حركناه فإذا به قد مات. رحمه الله تعالى.

ثم رجعت إلى منزلي وقد صغرت عندي نفسي.(١)

وصدق القائل:

إلى كم ذا التراخي والتمادي ... وحادي الموت بالأرواح حادي؟
فلو كنا جمادًا لاتعظنا ... ولكنا أشد من الجماد
تنادينا المنية كل وقت ... وما نصغي إلى قول المنادي

---

(١) انظر «الجامع المتين في شتى أمور الدين» تأليف الشيخ محمد بن عبد الملك الزغبي ـ حفظه الله.

وأنفاس النفوس إلى انتقاص ولكن الذنوب إلى ازدياد
إذا ما الزرع قارنه اصفرار فليس دواؤه غير الحصاد
كأنك بالمشيب وقد تبدّى وبالأخرى مناديها ينادي
وقالوا: قد قضى فاقروا عليه سلامكمو إلى يوم التناد

فهل تتحمل أيها العاصي هذه النار والمآسي؟ فكم فيها من جبار وقاسي؟ يصرخون فيها صراخ الحيارى لا تعرف صوت الضعيف من الجبار القاسي، فكلهم يعانون المآسي، فيا ويلك يا عاصي، هذا ما كسبته من المعاصي فاصبر إذن على المآسي.

ثالثًا: خاتمة السوء:

• وعن حمزة بن عبد الله قال: شهدت أبا بكر الشاشي عند موته فقلت له: كيف حالك؟.

قال: كسفينة تدور على الغرق فلا أدري أأنجو بالسلامة وتأتي الملائكة بالبشارة: ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ أم تغرق السفينة وتأتي الملائكة تقول: ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٢٢] أي: بعدًا بعدًا فلا تصلح لنا يا خبيث؟!

ويقول ابن الجوزية - رحمه الله: فكيف يوفق بحسن الخاتمة من أغفل الله سبحانه قلبه عن ذكره واتبع هواه، وكان أمره فرطًا؟ فبعيد من قلبه غافل عن الله تعالى، متعبد لهواه، أسير لشهواته، ولسانه يابس من ذكره، وجوارحه معطلة من طاعته، مشتغلة بمعصيته أن يوفق للخاتمة بالحسنى.

أيها العاصي: اتعظ

• قال القرطبي: روي أن مؤذنًا أذّن في منارة أربعين سنة، فصعد يومًا وأذن حتى بلغ قوله: حيّ على الفلاح، فوقع بصره على امرأة نصرانية، فذهب عقله وأخذت بمجامع قلبه، فترك الأذان وذهب إليها وخطبها، فقالت: مهري ثقيل

عليك، فقال: وما هو؟ قالت: تدخل في ديني وتترك دين الإسلام، فكفر بالله ودخل في دينها، فاعتلى السطح في اليوم المحدد لأمر ما، فزلت رجله فوقع من فوق الدار فمات، فلا هو بها نال ولا بالإسلام فاز، وخسر الدنيا والآخرة نعوذ بالله من سوء الخاتمة وشؤم العاقبة.(١)

• ولقد كان الضحاك بن مزاحم رحمه الله يبكي كل ليلة عند الغروب حتى تبتل لحيته ويقول: إني أخاف أن يكون قد صعد من عملي في هذا اليوم ما يسخط الله.

هل أمنت مكر الله يا عاصٍ؟

قد يأتيك الموت بغتة وأنت عنه لاهٍ، فماذا تقول إذا رأيت الدواهي؟!

• خرج سفيان الثوري (٢) رحمه الله إلى مكة حاجًا فكان يبكي من أول الليل إلى آخره في المحمل.

فقال له شيبان الراعي: يا سفيان لم بكاؤك؟! إن كان لأجل المعصية فلا تعص الله.

فقال سفيان: أما الذنوب فما خطرت ببالي قط صغيرها ولا كبيرها، وليس بكائي يا شيبان من أجل المعصية، ولكن من خوف الخاتمة، لأني رأيت شيخًا كبيرًا كتبنا عنه العلم، وعلم الناس أربعين سنة، وجاور بيت الله الحرام سنين، فلما مات تحول وجهه عن القبلة ومات إلى الشرق كافرًا فما أخاف إلا من سوء الخاتمة، فقال له

---

(١) انظر «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» تحقيق أخينا الشيخ أحمد عبد الملك الزغبي - (تحت الطبع) والداء والدواء تحقيق الشيخ محمد عبد الملك الزغبي. وكذا «الروض» (ص/ ١٠-١١)، و«الجامع المتين في شتى أمور الدين» تأليف المؤلفين.

(٢) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي. قال شعبة: سفيان أمير المؤمنين في الحديث، وقال الذهبي - رحمه الله: الحجة الثبت، متفق عليه، مع أنه كان يدلس عن الضعفاء، ولكن له نقد وذوق، ولا عبرة لقول من قال: يدلس ويكتب عن الكذابين. توفي سنة ١٦١هـ وراجع ترجمته في «اللباب» (١/ ١٩٨)، و«تاريخ بغداد» (٩/ ١٥١) و«طبقات الحفاظ» (ص/ ٩٥)، و«تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٠٣)، و«التهذيب» (٤/ ١١١) و«ميزان الاعتدال» (٢/ ٣٥٩) برقم (٣٣٢٢) ط. دار الفكر. بيروت.

: إن ذلك من شؤم المعصية والإصرار على الذنوب فلا تعص الله طرفة عين.

ورحم الله القائل :

واخجلة العبد من إحسان سيده ... واحيرة القلب من ألطاف معناه
واحسرة الطرف كم يرنو لخائنة ... من المآثم لا يرضى بها الله
فكم أسأت فبالإحسان عاملني ... واخجلتي واحيائي حين ألقاه
وكم له من أياد غير واحدة ... وافت إليَّ تريني أنه الله
بلطفه وبفضل منه عرفني ... في حبه كيف أرجوه وأخشاه
يا نفس كم بخفي اللطف ... وقد رآني على ما ليس يرضاه
يا نفس توبي من العصيان ... فقد كفى ما جرى لي حسبي الله

• وكان شقيق البلخي ـ رحمه الله يأمر أصحابه بالتهيؤ كل وقت للموت ويقول : ربما يتهيأ الواحد منا خمسين سنة للموت ولا يصح له تهيؤ، إنما التهيؤ لمن زهد في الدنيا كعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه.

وقال رجل لمحمد بن سيرين رحمه الله : أوصني.

فقال : لا تحسد أحدًا فإنه إن كان من أهل النار فكيف تحسده على دنيا فانية سيصير بعدها إلى النار؟ وإن كان من أهل الجنة فاتبعه في أعمالها واغبطه عليها فإن ذلك أولى من حسدك على الدنيا.

وقال بشر الحافي ـ رحمه الله : لقد أدركنا الناس ولهم أعمال صالحة كالجبال ومع ذلك كانوا لا يفترون، وأنتم لا أعمال لكم ومع ذلك تغترون، والله إن أقوالنا أقوال الزاهدين، وأعمالنا أعمال الجبابرة والمنافقين.

أيها العاصي:

انظر إلى هذا الموقف القاسي، الذي يبين المآسي التي تأتي على العاصي في خاتمته :

أيها العاصي : اتعظ بهذا الموقف القاسي

• قال منصور بن عمار رحمه الله تعالى : كان لي أخ في الله يحبني ويزورني في الشدة والرخاء، وكنت أراه كثير العبادة والتهجد والبكاء، ففقدته أيامًا فقيل لي: هو ضعيف (مريض)، فذهبت إليه أعوده، فأتيت الباب فطرقته فخرجت إِلَيَّ ابنته، فقالت : من تريد؟

فقلت : فلانًا، فدخلت واستأذنت لي ثم عادت،وقالت : ادخل فدخلت فوجدته في وسط الدار، وهو مضطجع على فراش وقد اسود وجهه، وازرقت عيناه، وغلظت شفتاه، فقلت له وأنا خائف : يا أخي أكثر من قول لا إله إلا الله، ففتح عينيه ونظر إِلَيَّ شزرًا وغشي عليه، فقلت له ثانيًا وثالثًا : يا أخي أكثر من قول لا إله إلا الله ولإن لم تقلها ما غسلتك ولا كَفَّنْتُكَ ولا صليت عليك.

ففتح عينيه وقال : يا أخي يا منصور هذه كلمة حيل بيني وبينها.

فقلت : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم قلت له : يا أخي أين الصلاة والصيام والتهجد والقيام؟!

فقال : يا أخي كل ذلك كان لغير وجه الله، إنما كنت أفعل ذلك ليقال عني، وأُذْكَرَ به، وكنت أفعل ذلك رياء، فإذا خلوت بنفسي أغلقت الباب وأرخيت الستور وشربت الخمور وبارزت ربي بالمعاصي والفجور، ودمت على ذلك مدة، فأصابني مرض فأشرفت على الهلاك، فقلت لابنتي هذه ناوليني المصحف ففعلت، فأخذته، فجعلت أقرأ فيه حرفًا حرفًا حتى انتهيت.

ثم قلت : اللهم اشفني ولن أعود إلى الذنب أبدًا، ففرج الله عني، فلما شفيت عدت إلى ما كنت عليه من اللهو واللذات والزهو، وأنساني الشيطان العهد الذي كان بيني وبين ربي وبقيت على ذلك مدة من الزمان، فمرضت مرضًا أشرفت فيه على الموت، فأمرت أهلي فأخرجوني إلى وسط الدار على عادتي، ثم دعوت بالمصحف

فقرأت فيه، ثم رفعت طرفي إلى السماء وقلت : اللهم فرج عني ولن أعود للمعصية، فاستجاب الله لي وفرج عني، ثم عدت إلى ما كنت عليه من الهوى والغي فوقعت في هذا المرض، فأمرت أهلي فأخرجوني إلى وسط الدار كما تراني، ثم دعوت بالمصحف لأقرأ فيه، فلم يتبين لي حرف واحد فعلمت أن الله تعالى قد غضب عليَّ، فدعوت الله ولكن لم يستجب لي أبدًا.

قال منصور : والله ما خرجت من عنده إلا وأنا أسكب العبرات، فما وصلت إلى الباب إلا وقد قيل لي : فلان مات، فنسأل الله أن يرزقنا حسن الخاتمة، فكم من نفس مُكر بها بعد أن كانت صائمة قائمة !

وصدق القائل :

تتوب من الذنوب إذا مرضت ... وترجع للذنوب إذا برئتا
إذا ما الضر مسَّك أنت باك ... وأخبث ما تكون إذا قويتا
فكم من كربة نجاك منها ... وكم كشف البلاء إذا بليتا
أما تخشى بأن تأتي المنايا ... وأنت على الخطايا قد دهيتا
وتنسى فضل رب جاد فضلًا ... عليك ولا ارعويت ولا خشيتا
وكم عاهدت ثم نقضت عهدًا ... وأنت لكل معروف نسيتا
فدارك قبل نقلك عن ديارك ... إلى قبر إليه قد نعيتا

• وكان محمد بن واسع يقول لأصحابه : قد غرقنا في الذنوب ولو أن أحدًا منكم يجد مني ريح الذنوب لما استطاع أن يجلس إِلَيَّ.

• وكان إبراهيم بن أدهم يقول : لأن أدخل النار وقد أطعته أحب إِليَّ من أن أدخل الجنة وقد عصيته.

• ولما طعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه قالوا له : إنا لنرجو أن لا تمسك النار، فقال : والله إنكم لجاهلون، إني لأخشى أن أصير فحمة من فحم جهنم.

ودخل عليه جماعة وهو مطعون فقالوا له : استخلف ولدك عبدالله بعدك فإنه عبد صالح.

فقال : أما يكفي من آل الخطاب واحد يأتي يوم القيامة ويداه مغلولتان إلى عنقه؟

يقول ﷺ :« إن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد يصرفه كيف يشاء. ثم قال : اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك »(١).

ويقول ﷺ :«إنما الأعمال بالخواتيم »(٢).

أيها العاصي : الأعمال بالخواتيم فعجل بالتوبة

• روي أن أخوين كان أحدهما عابدًا والآخر مسرفًا على نفسه، فتمنى العابد يومًا أن يفعل المعصية وقال في نفسه : يا أسفًا عليَّ ضَيَّعْتُ مِنْ عمري أربعين سنة في حصر نفسي سأنزل مع أخي وانغمس في اللذات ثم أتوب بعد ذلك.

وقال المسرف على نفسه: قد أفنيت عمري في المعصية، وأخي العابد يدخل الجنة وأنا أدخل النار، والله لأتوبن وأصعد إلى أخي وأوافقه في العبادة ما بقي من عمري فلعل الله يغفر لي، فطلع على نية التوبة، ونزل أخوه على نية المعصية، فزلَّت رجله فوقع على أخيه فماتا جميعًا في السلم، فحشر العابد على نية المعصية، وحشر المسرف على نية التوبة(٣).

---

(١) الحديث : صحيح ، أخرجه مسلم في «صحيحه» (٤/ ٢٠٤٥) - كتاب القدر (٤٦) باب (٣٠) «ح»(١٧/ ٢٦٥٤) وغيره.

(٢) الحديث : صحيح ، وهو جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في «صحيحه» (١١/ ٤٩٩) - كتاب القدر (٨٢) باب الأعمال بالخواتيم (٥) «ح»(٦٦٠٧) ، ومسلم في «صحيحه» (١/ ١٠٦) - كتاب الإيمان (١) باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه (٤٧) «ح»(١٧٩/ ١١٢).

(٣) قلت : في هذا الخبر أمران الأول : أن هذا خبر إسرائيلي، وقال الحافظ ابن كثير : تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد فإنها على ثلاثة أقسام. أحدها : ما علمنا صحته فذاك صحيح. الثاني : ما علمنا كذبه فلا نقبله. الثالث : ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه ويجوز حكايته كما تقدم.. وراجع «تفسير ابن كثير» (١/ ٤) ط. دار الغد. وراجع كتاب «التوابين» بتحقيق الشيخ / محمود الزغبي - ط. دار

انظروا أيها العصاة - اعتبروا يا أولي الأبصار:

ندم العابد على تغير نيته بلا شك وخفا، وبكى على تفريطه بعد عبادته إذ زل وعصاه يوم أن صافي وده يرد ويرجع إلى الوفا، وسيعلم أنه بنى على شفا جرف هار، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

وصدق القائل:

أناس أعرضوا عنا ... بلا جرم ولا معنى
أساءوا ظنهم فينا ... فهلَّا أحسنوا الظنا
فإن عادوا لنا عدنا ... وإن خافوا فما خفنا
وإن كانوا قد استغنوا ... فإنا عنهموا أغنى

ويقول العلامة ابن القيم الجوزية: ولقد قطع خوف الخاتمة ظهور المتقين، وكأن المسيئين الظالمين قد أخذوا توقيعًا بالأمان: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ [القلم: ٣٩، ٤٠][1].

• قال الربيع: قيل لرجل هنا بالبصرة: يا فلان قل: لا إله إلا الله، فجعل يقول:

يا رب قائلة يومًا وقد لغبت ... أين الطريق إلى حمام منجاب؟

وهذا الكلام له قصة:

وذلك أن رجلًا كان واقفًا بإزاء داره، وكان بابه يشبه باب حمام منجاب، فمرت به جارية لها منظر، وهي تقول: أين الطريق إلى حمام منجاب؟

المنار. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله: لكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد. وراجع «مقدمة في أصول التفسير» (ص/٤١-٤٢).

الأمر الثاني: أن هذا الخبر ورد بنحوه حديث مرفوع، ولكن فيه أن العابد حكم على الآخر أن الله لا يغفر له أبدًا، أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٢٣) وأبو داود في «السنن» (٥/ ٢٠٧-٢٠٨) كتاب الأدب (٣٥) باب في النهي عن البغي (٥١) «ح» (٤٩٠١)، وكذلك البغوى في «شرح السنة» (١٤/ ٣٨٤-٣٨٥) «ح» (٤١٨٧).

(١) انظر «الداء والدواء» تحقيق الشيخ محمد عبد الملك الزغبي - حفظه الله ط. دار المنار. فياض.

فقال لها : هذا حمام منجاب وأشار إلى داره، فدخلت الدار ودخل وراءها فلما رأت نفسها معه في داره وليس بحمام علمت أنه خدعها، فأظهرت له البشر والفرح باجتماعها معه على تلك الخلوة وفي تلك الدار.

وقالت له : اخرج فَاشترِ لنا ما نطيب به عيشنا وتقر به أعيننا.

فقال لها : الساعة آتيك بكل ما تريدين وبكل ما تشتهين، فخرج وتركها في الدار ولم يقفلها، وتركها محلولة على حالها ومضى، فأخذ ما يصلح لهما ورجع، ودخل الدار فوجدها قد خرجت وذهبت ولم يجد لها أثرًا، فهام الرجل وأكثر الذكر لها والجزع عليها، وجعل يمشي في الطرق والأزقة وهو يقول :

يا رب قائلة يومًا وقد لغبت ... أين الطريق إلى حمام منجاب؟

وإذا بجارية تجاوبه من طاق وهي تقول :

هلَّا جعلت لها لما ظفرت بها ... حرزًا على الدار أو قفلًا على

فزاد هيمانه واشتد هيجانه، ولم يزل كذلك حتى كان من أمره ما ذكر، فنعوذ بالله من المحن والفتن.[1]

وروى ابن المبارك[2] وسفيان عن ليث عن مجاهد قال : ما من ميت إلا يعرض عليه أهل مجالسه الذين كان يجالس، إن كانوا أهل لهو فأهل لهو، وإن كانوا أهل ذكر فأهل ذكر.[3]

---

(١) انظر هذا الخبر في «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص/ ٤٠-٤١) ط. دار الكتب العلمية بيروت، وكذا في «الداء والدواء» للعلامة ابن الجوزية. وكذا في «الجامع المتين في شتى أمور الدين» للمؤلفين، وفي كتاب العاقبة لأبي محمد عبد الحق. كما ذكر ذلك القرطبي رحمه الله.

(٢) ابن المبارك هو : عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي مولاهم أبو عبد الرحمن المروزي، قال ابن معين : كان ثقة عالمًا متثبتًا صحيح الحديث. وهو صاحب كتاب «الزهد والرقائق» وراجع ترجمته في «تاريخ بغداد» (١٠/ ١٥٢)، و«العبر» (١/ ٢٨٠) و«تذكرة الحفاظ» (١/ ١٧٤) واللباب (١/ ٣٣٤) وطبقات الحفاظ (ص/ ١٢٣) للسيوطي، والحلية (٨/ ١٦٢) لأبي نعيم ـ رحمه الله تعالى.

(٣) انظر التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص/ ٤٠) ط. دار الكتب العلمية بيروت.

وقال القرطبي رحمه الله : ومثل هذا في الناس كثير ممن غلب عليه الاشتغال بالدنيا والهم بها أو سبب من أسبابها، حتى لقد حكي لنا أن بعض السماسرة جاءه الموت فقيل له : قل : لا إله إلا الله، فجعل يقول : ثلاثة ونصف أربعة ونصف. غلبت عليه السمسرة.

ولقد رأيت بعض الحُسَّاب وهو في غاية المرض، يعقد بأصابعه ويحسب.

وقيل لآخر قل : لا إله إلا الله، فجعل يقول : الدار الفلانية أصلحوا فيها كذا، اعملوا فيها كذا.

وقيل لآخر قل : لا إله إلا الله، فجعل يقول : عقل الحمارة.

وقيل لآخر : قل : لا إله إلا الله، فجعل يقول : البقرة الصفراء، غلب عليه حبها والاشتغال بها.

• ولقد روى ابن ظفر في كتاب «النصائح» له قال :

كان يونس بن عبيد رحمه الله تعالى بزازًا، وكان لا يبيع في طرفي النهار ولا في يوم غيم، فأخذ يومًا ميزانه فَرَضَّهُ بين حجرين.

فقيل له : هلَّا أعطيته الصانع فأصلح فساده؟

فقال : لو علمت فيه فسادًا لما أبقيت من مالي قوت ليلة.

قيل له : فلم كسرته؟

قال : حضرت الساعة رجلًا احتضر، فقلت له : قل : لا إله إلا الله فامتعض، فألححت عليه، فقال : ادع الله لي، فقال : هذا لسان الميزان على لساني يمنعني من قولها.

قلت : أفما يمنعك إلا من قولها؟! فقال : نعم.

قلت : وما كان عملك به؟

قال : ما أخذت ولا أعطيت به إلا حقًّا في عملي، غير أني كنت أقيم المدة لا

أفتقده ولا أختبره، فكان يونس بعد ذلك يشترط على من يبايعه أن يأتي بميزان ويزن بيده وإلا لم يبايعه.

وقيل لآخر : قل : لا إله إلا الله، فجعل يهذي بالغناء، ويقول : تانتنا، تانتنا.

• ويقول ابن الجوزية رحمه الله : أخبرني من حضر بعض الشحاذين عند موته، فجعل يقول : لله فلس. فلس لله. حتى قضي.

• وقال بعض التجار حين لقنوه (في حالة الاحتضار) يقول : هذه القطعة رخيصة، هذا مشترى جيد، هذه كذا ـ حتى قضي.

يا أيها المذنب قم واعتذر — وتب من الذنب وكسب الآثام
إلى متى أنت ترى غاديًا — ورائحًا في اللهو وطوع الغرام
تب إلى الله وتب واستقم — من قبل أن تشرب كأس الحمام

أيها العصاة :

كيف بكم أيها الغافلون وقد نظر العارفون بعين البصائر، وعمل كل منهم لما هو إليه صائر؟ !

هجروا المنام، وقاموا في الدياجي الدياجر، وغسلوا الوجوه بدموع المحاجر، فأزعجهم ما يتلونه في القرآن من الزواجر.

يا أيها العاصي :

سبقك أهل العزائم، وأنت في الغفلة نائم، قف على الباب وقوف نادم، ونكس رأس الذل وقل : عبد ظالم، وناد في الأسحار: أنا المذنب الهائم، وقد جئت أطلب العفو والمراحم، وتشبه بالقوم وإن لم تكن منهم فزاحم، قل لنفسك أيها **العاصي** بقول القائل :

إذا ما قال لي ربي — أما استحييت تعصيني
وتخفي الذنب عن خلقي — وبالعصيان تأتيني

فما قـولي لـه لما يـعـاتبني ويقـضيـني

فهيا هيا يا عاصي، أقبل على الله واترك المعاصي، فستراه رحيمًا عليك غير قاسٍ.

دواء العـاصـي

أيها العاصي أذكر لك بعض أنواع الدواء بما تيسر لنا جمعه، أدعو الله العلي القدير أن تهجر الذنوب، فتقطع العيوب، ويغفر لك علام الغيوب.

الأمر الأول : قراءة القرآن

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت : ٤٤].

ويقول عز وجل: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء : ٨٢].

يقول ابن الجوزية رحمه الله : و﴿ مِنَ﴾ هنا : لبيان الجنس لا للتبعيض، فإن القرآن كله شفاء كما قال في الآية المتقدمة، فهو شفاء للقلوب من داء الجهل والشك والريب.. فلم ينزل الله سبحانه وتعالى من السماء شفاء قط أعم ولا أنفع ولا أعظم ولا أنجع في إزالة الداء من القرآن.

أيها العاصي : هل جربت يومًا قراءة القرآن؟

هل قرأته أبدًا بالليل والناس نيام؟

والله لو فعلت ذلك لوجدت فيه ما يغطي الأثام، ويقطع العاصي عن المعاصي[1].

---

(١) انظر «الجواب الكافي» العلامة ابن القيم ـ تحقيق : الشيخ محمد عبد الملك الزغبي. ط. دار المنار.

أيها العاصي ! عش هذه المواقف واعتبر

• يقول منصور بن عمار رحمه الله تعالى : حججت حجة، فنزلت سكة من سكك الكوفة. فخرجت في ليلة مظلمة، فإذا بصارخ يصرخ في جوف الليل وهو يقول : إلهي! وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وقد عصيتك إذ عصيتك وما أنا بنكالك جاهل، ولكن خطيئة عرضت لي أعانني عليها شقائي، وغرني سترك المرخي عليَّ، وقد عصيتك بجهدي، وخالفتك بجهلي، ولك الحجة عليَّ، فالآن من عذابك من يستنقذني؟ وبحبل مَنْ أتصل إذا قطعت حبلك مني؟ واشباباه! واشباباه.

قال : فلما فرغ من قوله تلوت آية من كتاب الله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ﴾ [التحريم: ٦] فسمعت حركة شديدة، ثم لم أسمع بعدها حسًّا، فمضيت فلما كان من الغد رجعت في مدرجتي، فإذا أنا بجنازة قد وضعت، وإذا بعجوز كبيرة فسألتها عن أمر الميت، ولم تكن تعرفني، فقالت : هذا رجل لا جزاه الله إلا جزاءه ! مَرَّ بابني البارحة وهو قائم يصلي، فتلا آية من كتاب الله، فلما سمعها ابني فُطرت مرارته فوقع ميتًا [(١)].

لا إله إلا الله، يا عاصي ! أما رأيت ونظرت؟ !

يموت لآية من كتاب الله وأنت بين يديك كتاب الله كله !

فعجبًا لقساوة قلبك أيها العاصي!

تسمع كلام الله وكأنك لم تسمع.

فويل لك أيها العاصي، فإن القرآن حجة لك أو عليك، وسيكون حجة عليك، والعياذ بالله [(٢)].

---

(١) انظر «التوابين» (ص/١٨٨-١٨٩) تحقيق الشيخ : محمود عبد الملك الزغبي - ط.دار المنار - فياض.

(٢) قوله «حجة لك أو عليك» جزء من حديث فيه «الوضوء شطر الإيمان....»أخرجه مسلم في الطهارة ، باب (١) «ح» ٢٢٣)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٦٨) ، والترمذي - كتاب الدعوات (٥/٢٠٧)

ويقول محمد بن أبي الفرج :

احتجت في شهر رمضان إلى جارية تصنع لنا الطعام، فوجدت في السوق جارية ينادى عليها بثمن زهيد، وهي مصفرة اللون، نحيفة الجسم، يابسة الجلد، فاشتريتها رحمة بها، وأتيت بها إلى المنزل.

فقلت لها : خذي أوعية، وامضي معي إلى السوق لنشتري حوائج رمضان.

فقالت : يا سيدي ! إني كنت عند قوم كل زمانهم رمضان، فعلمت أنها من الصالحين، فكانت تقوم الليل كله في شهر رمضان، فلما كان آخر ليلة.

قلت لها : امضي بنا إلى السوق لنشتري حوائج العيد.

فقالت : يا مولاي.. حوائج العيد؟!

حوائج العوام أم حوائج الخواص؟

فقلت لها : صفي لي حوائج العوام وحوائج الخواص؟

قالت : حوائج العوام : الطعام المعهود في العيد. وحوائج الخواص : التجرد من العيوب والتقرب من الرب المعبود.

فقلت لها : أريد حوائج الطعام، فقالت : أي الطعام تعني؟

طعام الأجساد أم طعام القلوب؟

فقلت لها : صفيهما لي.

قالت : أما طعام الأجساد فهو القوت المعتاد، وأما طعام القلوب فترك الذنوب وإصلاح العيوب.

ثم قامت تصلي فقرأت في الركعة الأولى البقرة كلها، ثم شرعت بعد ذلك في سورة آل عمران، ثم لم تزل تختم سورة بعد سورة حتى وصلت إلى سورة إبراهيم إلى

«ح»(٣٥٢٨) وقال : هذا حديث حسن صحيح. وانظر «رياض الصالحين» بأرقام (٢٥) و (١٠٣١) و(١٤١٣) ـ بتحقيق المؤلفين.

قوله تعالى: ﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [إبراهيم: ١٧].

فلم تزل ترددها وهي تبكي إلى أن أغمي عليها، ووقعت على الأرض فحركتها فإذا هي قد ماتت رحمها الله.

أيها العصاة:

استحوذت عليكم الغفلة، وغرتكم أيام المهلة، ولا تحسبن الله غافلًا عما يعمل الظالمون، ليست المهلة على الإطلاق ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، إذا انتهى أمدها طلبوا زيادة ﴿أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾، فيقابلون بتوبيخ ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾، فلو رأيتهم يوم العرض قد خرجوا مِن قبورهم حيارى وبرزوا لله الواحد القهار، ترجف بوادرهم يوم ترجف الراجفة، عليهم أمارات الشقاء، ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ إذا اشتد جوعهم ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾، وإذا قوي عطشهم ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾.

والله إن العري خير من كسوتهم، ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ ﴾، ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ﴾..

أتراهم لم يسمعوا ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾؟!

وصدق القائل:

ما حال من غلقت أبواب رحمته ... وخلدت نفسه في سجن غفلته
أعمته شهوته عن كل صالحة ... كأنما ختمت أجفان مقلته
فدعه لم يفق من قبل صرعته ... فسوف يعثر في أذيال جفوته
يا من ينادي ولا يصغي لصالحة ... كأنما قلبه في غير جثته
إن كان جسمك لا يقوى على ... فالنار أعظم من آلام علته

انظر أيها العاصي إلى فعل الصغار، وابك على المعاصي الصغار والكبار قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه الاعتذار.

أيها العاصي ! انتبه قبل أن يموت قلبك

• جاء في كتاب «عظة الألباب»:

أن بعض الصالحين قال: إنه رأى صبيًا على باب مكتب يبكي، فسأله عن ذلك.

فقال: كتب لي المعلم في اللوح سطرًا أبكاني.

فقلت: وما هو؟

قال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر:١- ٤] تهديد بعد تهديد، وتخويف بعد تخويف، يخوف الله عباده.

فقال له الرجل: أخِّرْ بكاءك إلى غد، فإنه يكتب لك أبلغ من هذا وهو قوله: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٦، ٧] فاضطرب الصبي وسقط على الأرض ميتًا رحمه الله.

فوثب إليه المعلم وقال له: أنت قاتله، فأخبر أهله فرفعوه إلى الخليفة، فقصَّ عليه القصة.

فقال الخليفة: دعوه فقد أسرع بالصبي الصالح إلى منازل السعداء.

• وكان يوسف بن أسباط رحمه الله تعالى كلما ختم القرآن مرة يستغفر الله تعالى سبعمائة مرة، ثم يقول: اللهم لا تمقتني بما قرأته من غير عمل.

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: حامل القرآن مقامه يجل عن أن يعصي ربه، كيف يصح له أن يعصي ربه وكل حرف من القرآن يناديه: بالله لا تخالف ما أنت حامله مني؟!

فلا ينبغي لحامل القرآن أن يلهو مع اللاهين، ولا يسهو مع الساهين، و

يغفل مع الغافلين.

وقال مالك بن دينار : يا أهل القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟

فإن القرآن ربيع القلب، كما أن الغيث ربيع الأرض.

تأمل يا عاصي نفسك !

وابك على حالك، فإن ما تهواه شهوات، وأنت بها محجوب عن ربك في عمر

الأوقات، لا تتلذذ بشيء من العبادات، ولا تراقب ربك في الخلوات، فكيف تدعي

أنك مع الصالحين وأنت قد خالفتهم في جميع أحوالهم؟!

• كان الفضيل رحمه الله يقطع الطريق، فبينما هو ذات ليلة واضع رأسه في

حجر غلامه، إذ ظهرت قافلة، فلما دنوا منهما قالوا : إن الفضيل هاهنا فكيف نصنع

فقال ثلاثة من قراء القرآن : نرمي إليه ثلاثة أسهم، فإن رجع وإلا رجعنا

فرمى واحد منهم سهماً، وقال : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾

[الحديد: ١٦].

فصاح الفضيل وقال : أصابني سهم، فجعل الغلام يطلب السهم في بطنه فلم

يجده، فقال له : لقد أصابني سهم الله.

ثم رمى الثاني سهماً وقرأ: ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾

[الذاريات: ٥٠].

فصاح الفضيل وقال : يا غلام لقد أصابني سهم الله.

ثم رمى الثالث وقال : ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ

ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [الزمر: ٥٤].

فصاح صيحة وقال لغلامه ورفقائه : ارجعوا فإني تبت إلى الله.

فكم من مرة **أيها العاصي** سمعت فيها هذه الآيات وما تحرك قلبك بل

ازداد قسوة؟!

فيا ويلك من عذاب الله، أتدري على من تقسو؟

على نفسك أيها المسكين الحزين، حتى ينقطع الرجاء بينك وبين رب العالمين، ويكون مصيرك إلى النار مع المجرمين في عذاب الحميم، والعياذ بالله الكريم، فتب إلى الله قبل فوات الأوان.

وكان الرسول ﷺ حريص على جعل أمته يقرءون القرآن.

ففي الحديث: لقي رسول الله ﷺ جبر يل فقال: «**يا جبريل إني بعثت إلى أمة أميين، منهم العجوز والشيخ الكبير، والغلام، والجارية، والرجل الذي لم يقرأ كتابًا قط**».

قال: يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف[(١)].

وفي رواية: ليس منها إلا شاف كاف[(٢)].

وفي رواية: فكل حرف شاف كاف[(٣)].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ وهو على المنبر «اقرأ عليّ» قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: «**إني أحب أن أسمعه من غيري**» فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١] قال: «**حسبك الآن**» فَٱلْتَفَتُّ إليه،

---

(١) الحديث أخرجه الطيالسي في «المسند» (٧٣/ ح (٥٤٣)، والترمذي في «المسند» (٥/ ١٩٤) ـ كتاب القراءات (٤٧) باب ما جاء: «أنزل القرآن على سبعة أحرف» (١١) «ح» (٢٩٤٤) وقال: حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن أبي بن كعب. وفي «كنز العمال» (٤٨٥٢).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ١٢٤) وأبو داود في «المسند» (٢/ ١٦٠) كتاب الصلاة (٢) باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (٣٥٧) «ح» (١٤٧٧).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٥١-١١٤-١٢٢)، والنسائي في المجتبى (٢/ ١٥٤) ـ كتاب الافتتاح (١١) باب جامع ما جاء في القرآن (٣٧).

فإذا عيناه تذرفان»[١].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لأبي بن كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن»، قال: آلله سماني لك؟! قال: «نعم»، قال: وقد ذكرت عند رب العالمين؟! قال: «نعم» فذرفت عيناه»[٢].

وفي رواية: «أمرني أن أقرأ عليك: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾»[٣].

ويقول ﷺ: «اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه»[٤].

وعن جبير بن مطعم قال: قدمت المدينة لأسأل رسول الله ﷺ في أسارى بدر، فوافيته يقرأ في صلاة المغرب ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾ [الطور:١، ٢] فلما قرأ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾ [الطور:٧، ٨] فكأنما صدع قلبي، فأسلمت خوفًا من نزول العذاب، فلما انتهى إلى هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور:٣٥، ٣٦] كاد

---

(١) الحديث: صحيح، أخرجه البخاري (٨/ ٢٥٠) ـ كتاب التفسير (٦٥) تفسير سورة النساء (٤) باب ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ﴾ «ح»(٤٥٨٢)، وفي (٩/ ١٣) ـ كتاب فضائل القرآن (٦٦) باب من أحب أن يستمع القرآن من غيره (٣٢) «ح»(٥٠٤٩) وفي (٩/ ٩٤) باب قول المقرئ للقارئ: «حسبك» (٣٣) «ح»(٥٠٥٠)، ومسلم في «صحيحه» (١/ ٥٥١) كتاب صلاة المسافرين (٦) باب فضل استماع.. (٤٠) «ح»(٢٤٧/ ٨٠٠) و (٢٤٨/ ٨٠٠) وأحمد في «المسند»(١/ ٣٥٥٠) والنسائي في «الكبرى»(٦/ ١١١٠٥) وأبو داود ـ في العلم ـ (٣٦٦٨) والترمذي في «السنن»(٥/ ٢٠-٢١) «ح»(٣٠٣٥) وفي الشمائل (٣١٦) وابن حبان في «صحيحه» (٧٠٦٥) والطبراني (٨٤٦٠) (٨٤٦١) وأبو يعلى (٥٢٢٨) والبيهقي (١٠/ ٢٣١).

(٢) الحديث: صحيح، أخرجه البخاري في «صحيحه» (٨/ ٧٢٥-٧٢٦) كتاب التفسير (٦٥) «ح»(٤٩٦٠) و(٤٩٦١) ومسلم في «صحيحه» (١/ ٥٥٠) «ح»(٧٩٩/٢٤٥).

(٣) الحديث: صحيح، أخرجه البخاري في «صحيحه» (٧/ ١٢٧) ـ كتاب مناقب الأنصار (٦٣) باب مناقب أبي بن كعب (١٦) «ح»(٣٨٠٩) وفي (٨/ ٧٢٥) ـ كتاب التفسير (٦٥) تفسير سورة ﴿لَمْ يَكُنِ﴾ (٩٨) «ح»(٤٩٦٩) و(٤٩٦٠).

(٤) الحدث: صحيح، أخرجه البخاري (٩/ ١٠١) كتاب فضائل القرآن (٦٦) «ح» (٥٠٦٠)، ومسلم في «صحيحه» (١/ ٢٠٣٥ ـ ٢٠٥٤) كتاب العلم (٤٧) باب النهي عن اتباع متشابه القرآن.. (١) «ح»(٣/ ٢٦٦٧) و(٤/ ٢٦٦٧).

قلبي أن يطير(١).

أيها العاصي : ها هو رسول الله ﷺ يبكي من القرآن وأنت لا تبكي؟!

ما هذه القساوة التي أنت فيها !

الرسول ﷺ يبكي، المغفور له ذنبه، والآخذ بنا إلى الجنة.

وأنت أيها الغافل تضحك، فكيف يؤثر في قلبك هذا الكلام بعد ذكر كلام الله خير الكلام؟!

وإلى الله المشتكى، ورحم الله القائل :

لله قوم بذكره اشتغلوا ... وفي حي قربه قد نزلوا
ليس لهم غير ذكره فرح ... فهم حقًا عليه قد حصلوا
من ذاك وصل الحبيب هام ولم ... يحل له منزل ولا طلل

---

(١) انظر «مع أعلام المفسرين» الجزء (٢٧) للشيخ محمد علي الصابوني ـ رحمه الله (ص/ ٤١) ط الغزالي بيروت وأشار إلى البحر المحيط (٨/ ١٤٧).

ملحوظة : ويعد جبير بن مطعم ـ رضي الله عنه ـ خير شاهد على أن شرط الإسلام في العدالة يكون وقت الأداء فقط ، أما وقت التحمل فلا يشترط ذلك ، فجبير بن مطعم تحمل قبل الإسلام وروى ما تحمله بعد الإسلام وقبل منه ، أخرج الشيخان : أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب «الطور» وكان قد جاء في فداء أسرى بدر قبل أن يسلم ، وفي رواية البخاري : وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي انظر كتابنا: «مصطلح الحديث» ـ تحت الطبع (المؤلفان).

الأمـــر الثانـي : تجنـب رفقـة السـوء

قيل للحسن رحمه الله تعالى : كيف نصنع بمجالسة أقوام يخوفوننا؟

فقال : والله لأن تجالس من يخوفونك حتى يدركك الأمن، خير من أن تجالس من يؤمنك حتى يدركك الخوف.

• دخل بعض الأمراء على داود الطائي رحمه الله تعالى في مرضه فوضع له بجانبه ألف دينار، فقال له : خذها عافاك الله، فقال له : ألك حاجة؟ قال : نعم. لا تأتيني بعد اليوم، ثم التفت للحاضرين، وقال : هذا يريد أن يزيدني دنسًا على دنسي قبل موتي.

ولذلك قال ﷺ: «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»[(١)].

• وها هو ذا عمر بن عبدالعزيز كان قد اشترط على من يجالسه ألا يذكر شيئًا من أمور الدنيا، وكان يجالس العلماء ويبكون وكأن بين أيديهم جنازة رحمهم الله.

فعليك **أيها العاصي** بكل من يذكرك بذنبك، وبالتوبة إلى ربك فهذا والله هو الدواء لكل داء.

• وروي أن داود كان يقول : إلهي أخذت أسأل أطباء عبادك: داووني، فكلهم دلوني عليك، إلهي امدد عيني بالدموع، وضعفي بالقوة، حتى أبلغ رضاك.

ويقول ﷺ: «**لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقي**»[(٢)].

---

(١) الحديث أخرجه في «المسند» (٢/ ٣٠٣) وأبو داود في «السنن» (٥/ ١٦٨) كتاب الأدب (٣٥) باب من يؤم أن يخالل (١٩) «ح» (٤٨٣٣) والترمذي في «السنن» (٤/ ٥٨٩) ـ كتاب الزهد (٣٧) «ح» (٢٣٧٨) وقال : حسن غريب والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٧١) وقال : صحيح إن شاء الله تعالى. ووافقه الذهبي. والخطيب (٤/ ١١٢) وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٦٥) والبغوي في «شرح السنة» (١٣/ ٧٠) «ح» (٣٤٨٥) وقال الحافظ ابن حجر : أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وكلهم من طريق موسى بن وردان عن أبيه به ، وقال الترمذي حسن غريب.. وصححه الحاكم ، ورجاله موثقون إلا أن الأولى عن موسى مختلف فيه .اهـ.

(٢) الحديث : حسن ، أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٣٨ وابن حبان في «صحيحه» ، «موارد الظمآن» (٥٢/ ٢٠٤٩) والترمذي في «سننه» (٤/ ٦٠٠) كتاب الزهد (٣٧) باب ما جاء في الصحبة ـ (٥٥) «ح» (٢٣٩٥) ، وأبو داود

• جاء محمد بن إبراهيم والي مكة فسلم على سفيان الثوري رحمه الله في الطواف. فقال له : ماذا تريد بالسلام؟ إن كنت تريد أن أعلم أنك تطوف اذهب فقد علمت.

وقال ﷺ: «يا أبا ذر أي عرى الإيمان أوثق؟» قال : الله ورسوله أعلم! قال : «الحب في الله والبغض في الله »[1].

أيها العاصي إياك والصاحب العاصي مثلك، فإنه يهوِّنُ عليك الأمر، بل يشجعك على فعله، ففر منه فرارك من الأسد أو المجذوم، فإنه والله لن ينفعك في يوم الحسرة والندامة.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾.

هكذا أخبرنا القرآن **أيها العاصي** بمن أنت معه ماشٍ، فبعد أن كنتم أولياء بعضكم، وبعد الحب الذي بينكم، سينقلب كل ذلك إلى بغض وعداوة، لأن هذه المحبة لم تكن لوجه الله تعالى، فإياك ومجالسة العصاة، وعجل بالتوبة إلى الله.

• كان الأحنف بن قيس رحمه الله عند معاوية - رضي الله عنه - وقد ذكروا كلامًا والأحنف جالس، ولم يتكلم، فقال له معاوية رضي الله عنه : ما لك لا تتكلم يا أحنف. فقال: إني أخشى الله تعالى إن كذبت، وأخشاك إن صدقت، فرأيت السكوت أولى.

(١٦٧/٥) - كتاب الأدب (٣٥) «ح»(٤٨٣٢) والدارمي في «السنن» (١٠٣/٢) والطيالسي (٢٢١٣) والحاكم في «المستدرك» (١٢٨/٤) وحسنه الشيخ الألباني وراجع «المشكاة» برقم (٥٠١٨) و«صحيح الجامع» برقم (٧٣٤١).

(١) الحديث أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢١٥/١١) «ح» (١١٥٣٧) البغوي في «شرح السنة» (٥٣/١٣) «ح»(٣٤٦٨) أحمد في «المسند»(١٤٦/٥) وأبو داود (٧١٥- «كتاب السنة» (٣٤) - (٣) «ح»(٤٥٩٩) وفي «المشكاة»(١٣٩٦/٣) «ح»(٥٠١٤) عزاه للبيهقي في الشعب.

لذا فَانْصَحْ صاحبك بلطف، ولا تغلظ عليه بالقول فيصيبك منه أذى إن كان مسئولًا أو من الأكابر.

وانظر إلى هذا الموقف!

• حبس هارون الرشيد رحمه الله رجلًا ظلمًا، فكتب إليه الرجل: اعلم يا هارون أنه ما من يوم مضى من حبسي وبؤسي إلا ويمضي من عمرك ونعيمك مثله، والأمر قريب، والحاكم بيني وبينك هو الله تعالى فلما قرأها الرشيد خلى سبيله وأحسن له العطاء.

○ وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول : كان الحجاج الثقفي بلاء من الله وافق خطيئة.

• وقد كتب أخ لمحمد بن يوسف رحمه الله يشكو إليه جور الولاة في بلاده فأجابه محمد بقوله : قد بلغنا كتابك، ولا يخفى عن علمك يا أخي أنه ليس لمن عمل بالمعصية أن ينكر وقوع العقوبة، وما أرى ما أنتم فيه إلا من شؤم الذنب والسلام.

ورحم الله القائل :

يا نفس توبي عن فعال منكره ... واسعي إلى دار البقا متبصرة
يا نفس فاز القوم من رب العلا ... عن زلاتهم والمغفرة
يا نفس قد قطعوا النهار لربهم ... صومًا وفازوا بالعلا في الآخرة
يا نفس ويحك للمتاب فبادري ... من قبل أن تأتي الذنوب مسطرة
يا نفس جدي في التقى وتزودي ... عملًا وكوني للقا مستبشرة
يا نفس كم قوم على الدنيا احتووا ... ظلمًا وما لهموا إذًا من آخرة
يا نفس كم أمم تفانوا في البلاد ... عظامهم أضحت عظامًا نخرة
يا نفس توبي اليوم من قبل الردى ... فعسى تكوني في غد مستبشرة
يا نفس آه من الذنوب وكلها ... يوم القيامة في الكتاب محررة
يا نفس ما ينجيك في يوم اللقا ... يا نفس ما ينجيك في يوم اللقا

الأمر الثالث : الزهد في الدنيا

قال إبراهيم بن أدهم : الزهد ثلاثة أقسام : زهد فرض، وزهد فضل، وزهد سلامة.

فأما الزهد الفرض فالزهد عن الحرام.

وأما الزهد الفضل فالزهد في الحلال.

وأما الزهد السلامة فالزهد في الشبهات.

وقال الحسن رحمه الله : الزاهد هو الذي إذا رأى أحدًا قال : هو أزهد مني.

ورحم الله القائل :

جميع فوائد الدنيا غرور   فلا يبقى لمسرور سرور
فقل للشامتين بنا استعدوا   فإن نوائب الدنيا تدور

• وسأل رجل الإمام أحمد أن يعظه، فقال الإمام :

إن كان الله قد تكفل بالرزق فاهتمامك بالرزق لماذا؟!

وإن كان الرزق مقسومًا فالحرص لماذا؟!

وإن كان الخلف على الله فالبخل لماذا؟!

وإن كانت النار حقًّا فالمعصية لماذا؟!

وإن كانت الدنيا فانية فالطمأنينة لماذا؟!

وإن كان الحساب حقًّا فالجمع لماذا؟!

وإن كان كل شيء بقضائه وقدره فالحزن لماذا؟!

ويقول ﷺ: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»[1].

---

(١) الحديث : ضعيف الإسناد ، أخرجه ابن ماجه (٤١٠٢) والحاكم (٣١٣) والعقيلي في «الضعفاء الكبير»

أيها العاصي : ازهد في الدنيا تخلو من المعاصي

أتعلم أن كل فعلك من أجل الدنيا؟

أما تعلم أن عزها زائل، ونعيمها فاني، ولن تخرج منها إلا بالقطن والكفن؟

انظر كم عرّيت أخاك المسلم لكي ترتدي أنت قميصه؟

والله لسوف تخرج منها عريانًا .

فانظر إلى فعل بشر رحمه الله في الشتاء يرتعد، وثوبه معلق، فقيل له : في مثل هذا الوقت تنزع ثوبك؟

فقال : الفقراء كثير ولا طاقة لي بمواساتهم بالثياب فأواسيهم بتحمل البرد كما يتحملونه.

(٢/ ١١) ضمن ترجمة خالد بن عمرو الأموي (٤١٣) والطبراني في «الكبير» (٦/ ٢٣٧) «ح»(٥٩٧٢) وابن عدى في «الكامل» (٢/ ٩٠٢) ضمن ترجمة خالد بن عمرو القرشي ، وأبو نعيم في «الحلية»(٣/ ٢٥٣) ضمن ترجمة سلمة بن دينار (٢٤٠) والتبريزي في«المشكاة»(٣/ ١٣٣) وعزاه للترمذي وابن ماجه ولكن عزوه للترمذي غير سديد ، قال القارئ في المرقاة (٥/ ٣٣) قال ميكي: أظن أن ذكر الترمذي وقع سهوًا من نساخ الكتاب، وابن حبان في ، الروضة (١٤١) والقضاعي في«المسند»(٤٦٣) والروياني في «المسند» (٢/ ٨١٤) وفي إسناده : خالد بن عمرو : قال أحمد : ليس بثقة ، قال البخاري : منكر الحديث.. وذكر الذهبي الحديث وقال: تابعه محمد بن كثير الصنعاني ، عن سفيان ، وقال العقيلي : ليس له أصل من حديث ، هذا إسناد ضعيف ، خالد بن عمرو، قال أحمد وابن معين : أحاديثه موضوعه ، وقال البخاري وأبو زرعة :موضوعة ، ونقل البوصيري قول العقيلي : ليس له أصل من حديث الثوري . اهـ.

وأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية من طريق خالد بن عمرو، وضعف الحديث.

ويقول المنذري رحمه الله : وقد حسن بعض مشايخنا إسناده وفيه بعد ؛ لأنه من رواية خالد بن عمرو وقد ترك واتهم ولم أرَ من وثقه لكن على هذا الحديث لامعة من أنوار النبوة ولا مانع من كونه ضعيفًا أن يكون النبي قاله، وقد تابعه عليه محمد بن كثير الصنعاني عن سفيان ومحمد هذا وقد وثق على ضعفه وهو أصلح حالًا من خالد ، والله أعلم.

قلت : والله المستعان : يتبين لنا ضعف الرواية من قول المنذري رحمه الله ، وإن كان يميل إلى تحسينها بمتابعة محمد بن كثير ، فهذا السند أيضًا ضعيف ولا يصح ، قال ابن أبي حاتم : سألت أبي عن هذا الحديث (بالسند الذي فيه ابن كثير الصنعاني) قال : هذا أيضًا حديث باطل ،يعني بهذا الإسناد وراجع «علل الحديث »(٢/ ١٠٧) «ح»رقم (١٨١٥).ط. دار المعرف-بيروت.

وأما تحسين الشيخ الفاضل الألباني كما في «صحيحته»(٩٤٤) وفي «صحيح الجامع»(٩٢٢) و(٩٢٣) ففيه نظر كبير جدًا عندنا ،وللمزيد راجع رياض الصالحين برقم (٤٧٢) بتحقيق المؤلفين.

• وأتاه رجل في مرضه فشكا إليه الحاجة، فلم يكن عند بشر شيء، فنزع قميصه فأعطاه له، واستعار ثوبًا فمات فيه، فخرج من الدنيا كما دخلها رحمه الله تعالى.

• ووجدته يومًا أخته وهو راقد على عتبة الباب ورجليه خارج الدار، فقالت له: منذ متى وأنت هكذا؟ فقال: منذ البارحة. فقالت: ولماذا لا تذهب للنوم؟ قال: لقد فكرت في بشر المجوسي، وبشر اليهودي، وبشر الحافي أيهم يدخل الجنة؟!

هؤلاء هم المؤمنون - **أيها العاصي** - يجوعون ويشبع الناس، يبيعون ثيابهم ويكسون الناس، ويتفكرون وينام الناس، فيالسعادتهم برب الناس.

أيها العاصي اترك الحرام، ولا تتعلل بالعيش، فالرزاق هو الله، والله لو اتقيت الله لأعطاك من حيث لا تحتسب، وانظر إلى ما فعله أبو مسلم الخولاني رحمه الله.

• كان أبو مسلم الخولاني رحمه الله يحب التصدق والإيثار على نفسه، وكان يتصدق بقوته ويبيت طاويًا، فأصبح يومًا وليس في بيته غير درهم واحد، فقالت له زوجته: خذ هذا الدرهم واشترِ به دقيقًا نعجن بعضه ونطبخ بعضه للأولاد، فإنهم لا يصبرون على ألم الجوع، فأخذ الدرهم والمزود وخرج إلى السوق، وكان الجو شديد البرودة، فصادفه سائل فتحول عنه، فلحقه وألحَّ عليه وأقسم عليه، فدفع له الدرهم وبقي في هم وكرب، وفكر كيف يعود إلى الأولاد والزوجة بغير شيء، فمر بسوق البلاط وهم ينشرونه، ففتح المزود وملأه من النشارة وربطه وأتى به إلى البيت فوضعه فيه على غفلة من زوجته، ثم خرج إلى المسجد، فعمدت زوجته إلى المزود ففتحته فإذا فيه دقيق أبيض، فعجنت منه وطبخت للأولاد، فأكلوا وشبعوا ولعبوا، فلما ارتفع النهار جاء أبو مسلم وهو على خوف من امرأته، فلما جلس أتته بالمائدة

والطعام فأكل، فلما فرغ قال : من أين لكم هذا؟ قالت : من المزود الذي جئت به أمس، فتعجب من ذلك وشكر الله على لطفه وكرمه.

انظر أيها العاصي إلى لطف الله، توكلوا عليه فكفاهم أمر دنياهم، ورزقهم من فضله وفعل معهم ما هو أهله.

ورحم الله القائل :

توكل على الرحمن تحظى برفده ... وكن واثقًا منه برزقك بالفعل
وسلم إلى مولاك أمرك إنه ... سيكفيك أسباب الكريهة والثقل
ومن يتوكل في الأمور جميعها ... على الله يحظى بالتباشر والفضل
فذاك الذي قد أذهب الله همه ... وجازاه بالإحسان في الضيف

وقال بعض السلف : لولا المصائب لوردنا الآخرة من المفاليس.

ورحم الله القائل :

إنما الدنيا إلى الجنة والنار طريق ... والليالي متجر الإنسان والأيام

• وقال عبد الواحد بن زيد : مررت في بعض الطرق بشيخ أعمى مقطوع اليدين والرجلين ضربه الفالج، والزنابير تنهش من لحمه وهو يقول : الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرًا من خلقه.

قال : فتقدمت إليه، وقلت له : يا أخي وأي شيء عافاك الله منه والله ما أجد جميع البلايا إلا محيطة بك؟!

قال : فرفع طرفه إلى السماء وقال : يا بطال إليك عني، فإنه عافاني إذْ أطلق لي لسانًا يوحده، وقلبًا يعرفه وفي كل لحظة يذكره.

وأنشد :

حمدت الله ربي إذْ هداني ... إلى الإسلام والدين الحنيف
فيذكره لساني كل وقت ... ويعرفه فؤادي باللطيف

وقال يحيى بن معاذ : ليكن نظرك إلى الدنيا اعتبارًا، وسعيك لها اضطرارًا، ورفضك لها اختيارًا.

• أصاب حريق مدينة البصرة، فخرج الناس بأمتعتهم ومالهم، وخرج مالك بن دينار بالمصحف مربوطا في عنقه، وهو يقول : هكذا نبعث يوم القيامة، هكذا نبعث يوم القيامة.

• وسرقت امرأة مصحفه يومًا وملحفته، فجعل يتبعها ويقول : خذي الملحفة وهاتي المصحف.

• وقال إدريس : لما زالت محنة الإمام أحمد بن حنبل، حمل إلى بيته مال كثير، وهو محتاج إلى أيسره، فرد جميع ذلك ولم يقبل منه قليلًا ولا كثيرًا، فجعل عمه إسحاق يحسب ما رده في ذلك اليوم، فكان خمسين ألف دينار.

فقال له الإمام أحمد : يا عم أراك مشغولًا بحساب ما لا يفيدك.

فقال له : لقد رددت اليوم كذا وكذا وأنت محتاج.

فقال : يا عم لو طلبناه لما أتانا، إنما أتانا لما تركناه.

• وجاء رجل إلى الحسن البصري رحمه الله فقال له : إني عمرت دارًا وقصدي أن تدخلها وتدعو لي فيها بالبركة.

فقال له الحسن : لقد غرك أهل الأرض، ومقتك أهل السماء، بنيت شديدًا، وأَمَّلْتَ بعيدًا، وستموت قريبًا.

• ومكث بشر الحافي رحمه الله تعالى خمسين سنة يشتهي الهريسة. ففتح الله عليه في بعض الأيام بدرهم، فمضى إلى السوق ليشتريها به، فسمع الهراس (صاحب الهريسة) ينادي : ماذا خبئ للصوام؟

فرجع باكيًا ولم يَشْتَرِ شيئًا، فبقي مدة تطالبه نفسه بها، فخرج إلى السوق ثانيًا ليشتريها، وإذا بالهراس ينادي ويقول : بقي القليل.

فبكى ورجع وعاهد الله تعالى أن لا يذوقها.

قل **أيها العاصي** كما قال القائل:

إلهي وقف السائلون ببابك، ولاذ الفقراء بجنابك، ووقفت سفينة المساكين على ساحل بحر كرمك، يرجون الجواز إلى ساحة رحمتك ونعمتك، إلهي إن كنت لا تكرم إلا من أخلص لك، فمن للمذنب المقصر إذا غرق في بحر ذنوبه وآثامه؟

إلهي إن كنت لا ترحم إلا الطائعين فمن للعاصين؟ وإن كنت لا تقبل إلا العاملين فمن للمقصرين المذنبين؟

إلهي ربح الصائمون، وفاز القائمون، ونجا المخلصون، ونحن عبادك المذنبون، فارحمنا برحمتك، وجد علينا بفضلك ومنتك، واغفر لنا أجمعين يا ارحم الراحمين.

ورحم الله القائل:

أنا المرخي الستور على المعاصي ... على عبدي الجسور إذا عصاني
أيجمل بي إذا العاصي أتاني ... وعاتب نفسه فيما جفاني
وجدد توبة منه وأبدى ... تضرعه بدمع منه قاني
أقنطه وأمنعه جناني ... وقد وافى كئيب القلب عاني
فكم أعددت للتواب عندي ... من الخيرات في غرف الجنان

أيها العاصي ازهد في الدنيا وفي المناصب فإن ما عند الله باقٍ، ولا تقل لماذا؟ فسوف تعرف يوم التنادي عندما يقول الجليل: هيا يا عبادي.

• جلس عبد الله بن مشرف وزير هارون الرشيد بين يديه ثم قال: يا أمير المؤمنين لو استغاث بك رجل في رد عبد له هرب إليك أما كنت ترده؟

قال الرشيد: بلى.

قال: فأنا قد فررت إلى خدمة سيدي فاتركني له فقد أردت الرجوع إليه.

فبكى الرشيد ومن حضره، وقال : هذا رجل قد نجا من بيننا ونحن جلوس ننظر إليه، ثم خلى سبيله.

فخرج من وقته محرمًا يقول : لبيك اللهم لبيك، فلقيه سفيان في بعض الطرق وهو نائم على الأرض وعلى وجهه التراب.

فسلم عليه وقال : يا عبدالله ما الذي عوضك الله عما تركت؟

فقال : يا سفيان عوضني الرضا بما أنا فيه، وجاء إلى بيت الله الحرام يبكي، ما أن وقع بصره عليه حتى مات رحمه الله تعالى.

ورحم الله القائل :

ويحك يا نفس البدار البدار فما هذه الدار لحي بدار
قد نفد العمر وقل البقا إلى متى يا نفس الاغترار؟
من كان في الدنيا يرى راحلًا كيف له فيها يقر القرار؟
أم كيف يهنأ العيش فهيا لمن عليه كاسات المنايا تدار؟
يا أيها النائم قم وانتبه قد فاتك المطلوب والركب
إن كنت أذنبت فقم واعتذر إلى كريم يقبل الاعتذار
وانهض إلى مولى عظيم الرجا يغفر في الليل ذنوب النهار

اللهم إنا نستغفرك من كل ذنب أذنباه عمدًا أو خطأً أو سرًّا أو علانية ونسألك التوفيق.

الأمر الرابع : طلب مجالس العلم والعلماء

أيها العصاة : إذا كان الحق سبحانه وتعالى أرحم بالعبد من أمه به فكيف لا يقبل العبد على طاعته ويقلع عن معصيته، ويقدم بين يديه ما يعود نفعه عليه، وقد قال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾؟!

ورحم الله القائل :

قدم لنفسك خيرًا ما دمت مالك مالك
واعدد جوابًا سريعًا إذا سمعت سؤالك
فكل ما قد فعلته تراه ثم ينالك

عليكم أيها العصاة بمجالس أهل العلم فهم قوم لا يشقى جليسهم.

يقول رسول الله ﷺ :« إن لله تعالى ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله عز وجل تنادوا : هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم وهو أعلم :

ما يقول عبادي؟

قال : يقولون : يسبحونك ويكبرونك، ويحمدونك ويمجدونك.

فيقول : هل رأوني؟

فيقولون : لا والله ما رأوك.

فيقول : كيف لو رأوني؟!

قال : فيقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدًا، وأكثر لك تسبيحًا.

فيقول : فماذا يسألون؟

قال : يقولون : يسألونك الجنة.

قال : يقول : وهل رأوها؟

قال : يقولون : لا والله يا رب ما رأوها.

قال : يقول : فكيف لو رأوها؟

قال : يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا، وأشد لها طلبًا وأعظم فيها رغبة.

قال : فمم يتعوذون؟

قال : يقولون : يتعوذون من النار.

قال : فيقول : هل رأوها؟

قال : يقولون : لا والله ما رأوها.

فيقول : كيف لو رأوها؟

قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا، وأشد لها مخافة.

قال : فيقول : فأشهدكم أني قد غفرت لهم.

قال : يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة.

قال : هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم.(١)

فيا أيها العاصي شارك القوم في غنيمتهم ألا وهي عفو الله، فلعلك تكون من الصنف الثاني.

وقالوا : من انتهى إلى العالم وجلس معه ولا يقدر على أن يحفظ العلم فله سبع كرامات :

أولها : ينال فضل المتعلمين.

والثاني : ما دام جالسًا عنده كان محبوسًا عن الذنوب والخطايا.

والثالث : إذا خرج من منزله تنزل عليه الرحمة.

والرابع : إذا جلس عنده فتنزل عليهم الرحمة فتصيبه ببركتهم.

والخامس : ما دام مستمعًا تكتب له الحسنة.

---

(١) الحديث : صحيح ، أخرجه البخاري في «صحيحه» (١١/ ٢٠٨-٢٠٩) كتاب الدعوات (٨٠) باب فضل ذكر الله (٦٦) «ح»(٦٤٠٨) ، ومسلم في «صحيحه» (٤/ ٢٠٦٩-٢٠٧٠) كتاب الذكر (٤٨) باب فضل مجالس الذكر (٨) «ح»(٢٥/ ٢٦٨٩) والترمذي (٥/ ٣٤٤-٣٤٥) كتاب أحاديث شتى «ح»(٣٦١١) وقال : حديث حسن صحيح ، وقد روى عن أبي هريرة من غير هذا الوجه. والتحفة (١/ ٤٠١٥) وراجع رياض الصالحين برقم (١٤٤٧) بتحقيق المؤلفين.

والسادس: تحف عليهم الملائكة بأجنحتها رضًا وهو فيهم.

والسابع: كل قدم يرفعه ويضعه يكون كفارة للذنوب، ورفعًا للدرجات، وزيادة في الحسنات.

انظر أيها العاصي إلى أثر كلام العلماء في نفوس العصاة:

• أتى رجل إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى وقال:

يا أبا إسحاق، إني مسرف على نفسي فاعرض عليَّ ما يكون لها زاجرًا ومستنقذًا.

فقال: إن قبلت خمس خصال وقدرت عليها لم تضرك المعصية.

قال الرجل: هات يا أبا إسحاق!

قال: أما الأولى: فإذا أردت أن تعصي الله تعالى فلا تأكل رزقه.

قال الرجل: فمن أين آكل؟ وكل ما في الأرض رزقه؟!

قال: يا هذا أفيحسن بك أن تأكل رزق الله وتعصيه؟!

قال: لا، هات الثانية.

قال: إذا أردت أن تفعل المعصية فلا تسكن في أرضه.

قال: هذه أعظم فأين أسكن؟!

قال: يا هذا أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتسكن أرضه وتعصيه؟!

قال: لا، هات الثالثة.

قال: إذا أردت أن تعصي الله فانظر موضعًا لا يراك فيه.

قال: يا إبراهيم ما هذا وهو يطلع على ما في السرائر، لا تتيه عنه تائهة، ولا تغيب عنه غائبة؟!

قال: يا هذا أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتسكن أرضه وتعصيه وهو يراك

ويعلم ما تجهر به؟!

قال : لا، هات الرابعة.

قال : إذا جاءك ملك الموت لقبض روحك فقل له : أَخِّرْنِي حتى أتوب توبة نصوحًا وأعمل لله صالحًا.

قال : لا أقدر على هذا.

قال : يا هذا فأنت إذا لم تقدر أن تدفع عنك الموت لتتوب، وتعلم أنه إذا جاءك لم يكن له تأخير فكيف ترجو الخلاص؟!

قال : لا، هات الخامسة.

قال : إذا جاءك الزبانية يوم القيامة ليأخذوك إلى النار فلا تذهب معهم.

قال : إنهم لا يدعونني ولا يقبلون مني وهم ملائكة غلاظ شداد.

قال : فكيف ترجو النجاة إذن؟!

قال الرجل : يا إبراهيم حسبي ذلك، حسبي ذلك، وأنا أستغفر الله وأتوب إليه.[1]

ويقول ﷺ :« مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك : إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبًا، ونافخ الكير : إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة ».[2]

ويقول ﷺ :« إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا : وما رياض الجنة؟ قال

---

(١) انظر كتاب «التوابين» بتحقيق الشيخ / محمود عبد الملك الزغبي. ط. دار المنار (ص/ ١٨٥).

(٢) الحديث : صحيح ، أخرجه البخاري في «صحيحه» (٩/ ٦٦٠) كتاب الذبائح.. (٧٢) باب المسك (٥٥٣٤) ومسلم في «صحيحه» (٤/ ٢٠٢٦) كتاب البر.. (٤٥) باب استحباب.. (٤٥) ؛ (١٤٦/ ٢٨ وكذلك أحمد في «المسند» (٤/ ٤٠٤) وعند أبي داود والحاكم مختصرًا من رواية أنس رضي الله عنه ، وص الألباني (الثانية) وراجع الترغيب (٤/ ٥٧) و«صحيح الجامع» برقم (٥٨٢٨).

حلق الذكر »[1].

ورحم الله القائل :

يا من لـه سـتـر عليَّ جميل   هل لي إليك إذا اعتذرت قبول؟
أبديتني ورحمتني وسترتني   كرمًا فأنت لمن رجاك كفيل
وعصيت ثم رأيت عفوك   وعليَّ سترك دائمًا مسدول
فلك المحامد والمحاسن والثنا   يا من هو المقصود والمسئول

هيا **أيها العاصي** إلى العلماء فعندهم الجواب لكل عاصٍ، فليحفظهم الله من المآسي.

وقال الفقيه رحمه الله : من جالس الفساق زاده الله الجراءة على الذنوب والمعاصي والإقدام عليها والتسويف في التوبة، ومن جلس مع الصالحين زاده الله الرغبة في الطاعات واجتناب المحارم، ومن جلس مع العلماء زاده الله العلم والورع، ومن جلس مع الصبيان زاده الله اللَّهْوَ والمزاح.

• روي أن إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى وافق مجلسًا في الري، وهي قرية من قرى الإسلام، وإذا فيه عالم جالس على سرير مرتفع بالخيلاء والتكبر، فلما فرغ من وعظه تَعَوَّذَ إبراهيم وقرأ : (تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق السرير).

فقال الفقيه : أخطأت يا خراساني.

فقرأ : الذي خلق الفرس واللجام وكانت دابة الفقيه على باب المسجد. فقال الفقيه : أخطأت يا خراساني.

فقال إبراهيم : الذي خلق القصر.

(١) الحديث : حسن إن شاء الله أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ١٥٠) والترمذي (٥/ ٥٣٢) كتاب الدعوات (٤٩) باب (٨٣) «ح» (٣٥١٠) بزيادة وعزاه السيوطي في الجامع الصغير (١/ ٤٤٢) «ح» (٨٥٩) إلى البيهقي في الشعب، وله طرق أخرى وراجع كشف الخفا (١/ ١٠٦) «ح» رقم (٢٧٨) ط. دار التراث.

قال الفقيه : أخطأت.

فقال إبراهيم : عَلِّمْنِي كيف هي؟

قال : قل ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾.

فقال إبراهيم : إذا علمت أنك خلقت للموت، فما هذه الخيلاء وما هذا التكبر؟!

فقال الفقيه : رميت سهمًا معترضًا، ونفذ سهمك في الغرض، فنزل عن السرير وتاب إلى الله وأناب رحمهما الله. آمين.

ورحم الله القائل :

ومن يذق الدنيا فإني طعمتها ... وسيق إلينا عذبها وعذابها
فلم أرها إلا غرورًا وباطلًا ... كما لاح في ظهر الفلاة سرابها
وما هي إلا جيفة مستحيلة ... عليها كلاب همهن اجتذابها
فإن تجتنبها كنت سلمًا لأهلها ... وإن تجتذبها نازعتك كلابها
فدع عنك فضلات الأمور فإنها ... حرام على نفس التقى ارتكابها

• بينما رسول الله ﷺ جالس والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر، فأما أحدهم فرأى فرجة في الحلقة فجلس إليها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبًا، فلما فرغ رسول الله ﷺ من كلامه قال :« **ألا أخبركم عن النفر الثلاثة فأما الأول فأوى إلى الله تعالى فأواه الله، وأما الثاني فاستحى من الله أن يؤذي الناس فاستحيى الله منه، وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه** »[1].

(١) الحديث : صحيح ، أخرجه البخاري في «صحيحه» - فتح - كتاب العلم ، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس (١/ ١٤٣-١٤٤) ، ومسلم في «صحيحه» - كتاب السلام (٢١٧٦) وفي رياض الصالحين برقم (١٤٤٩) بتحقيق المؤلفين ، ولقد شرع الشيخ محمد الزغبي في كتابة بحث يجب على كل باحث قراءته ألا وهو «الرد القوي عن صحيحي مسلم والبخاري» فيه الرد على بعض العلماء الذين انتقدوا أحاديث «الصحيحين» بالدليل القاطع، والأمر الساطع.

ورحم الله القائل:

يا من له علم الغيوب ووصفه ستر العيوب وكل ذاك سماح
أخفيت ذنب العبد عن كل كرمًا فليس عليه ثمَّ جناح
فلك التفضل والتكرم والرضا أنت الكريم الواهب الفتاح

• تاب شاب ولكن توبته لم تكن نصوحًا، فذهب إلى ذي النون وقال له: أعطني اسم الله الأعظم، وظل ماكثًا عنده لمدة سنة وستة أشهر، ثم أقسم على ذي النون أن يعلمه.

فأراد ذو النون أن يكشفه أمام نفسه، فقال له: خُذْ هذا الإناء وكان قد وضع عليه غطاء، واذهب به إلى فلان.

فأخذه الشاب وكشف الغطاء في أثناء الطريق فوثب من الإناء فأرة، فغضب الشاب غضبًا شديدًا ورجع إلى ذي النون وقال له: أتهزأ بي.

فقال له: ائتمنَّاك على فأرة فخنتنا، فكيف نستأمنك على اسم الله الأعظم؟!

الأمر الخامس: الدعاء

أيها العاصي ادْعُ الله، فإنك تسألُ بني آدم، أفلا تسأل ربهم؟!

وفي ذلك قيل:

لا تسألن بني آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله وإذا سألت بني آدم يغضب

أيها العاصي ادْعُ كما دعا أحد السلف رحمه الله علَّ الله أن يستجيب منك، فلقد رآه أخٌ له في الله في المنام فقال له: ماذا فعل بك الله؟

قال: أدخلني الجنة برحمته بسبب هذا الدعاء.

قال: وما هو؟

قال: يا رب أنت تعلم أني أحب الصالحين ولم أكن منهم، يا رب أنت تعلم أني كنت أبغض الفاسقين وكنت منهم، يا رب لو أعلم أن دخول الجنة ينقص من ملكك شيئًا لما سألتك جنتك، يا رب لو أعلم أن دخول النار يزيد في ملكك شيئًا لما سألتك النجاة منها، يا رب إن لم ترحمني أنت فمن ذا يرحمني؟!

ورحم الله القائل:

فكم لبيتُ عبدي إذ دعاني ... وراعيتُ الوداد وما رعاني

أيها العاصون الخائفون الزموا ذلًّا وخضوعًا، وابدوا على ما أسلفتم بكاء وخشوعًا، حينئذ يخرج لكم توقيع ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾.

وحينئذ يلبسكم الأمان بالغفران تاجًا معلمًا، فيا من أيامه في الغفلة ضائعة، وصحائفه لزلاته جامعة، أقبل على مولاك بنية خالصة، ونفس طائعة، فقد قال تعالى لنبيه صاحب الشفاعة الشائعة: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾.

فكم غفر ذنبًا، وكم جبر قلبًا، وكم قبل متندمًا؟!

يقول رسول الله ﷺ: «**الدعاء هو العبادة ثم قرأ**: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾»[1].

وقل ﷺ: «**ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء**»[2].

---

(١) الحديث: صحيح، أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٢٧٦) والترمذي في «السنن» (٥/ ٢٢١) - كتاب التفسير (٤٨) باب (٣) «ح» (٢٩٩٦) وفي (٥/ ٣٧٤) باب (٤٢) «ح» (٣٢٤٧) وفي (٥/ ٤٥٦) - كتاب الدعوات (٤٩) باب (١) «ح» (٣٣٧٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأبو داود (٢/ ١٦١) - كتاب الصلاة (٢) باب (٣٥٨) «ح» (١٤٧٩) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٩١) وصححه ووافقه وأقره الذهبي وابن ماجه (٢/ ١٢٥٨) كتاب الدعاء (٣٤) - باب (١) «ح» (٣٨٢٨) وابن حبان وصححه (٥٩٥/ ٢٣٩٦) موارد. وصححه الألباني وراجع «صحيح الجامع» برقم (٣٤٠٧) والمشكاة برقم (٢٢٣٠) - وراجع «إغاثة اللهفان» بتحقيق الشيخ محمد عبد الملك الزغبي. ط. دار المنار.

(٢) الحديث: حسن، أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٦٢) وابن ماجه (٢/ ١٢٥٨) - كتاب الدعاء (٣٤) باب (١) «ح» (٣٨٢٩) والترمذي (٥/ ٤٥٥) - كتاب الدعوات (٤٩) باب (١) «ح» (٣٣٧٠) وقال: حديث حسن

فالدعاء سبب مقتض للإجابة مع استكمال شرائطه وانتفاء موانعه، فيقطع بقبوله مع توفر شروطه وانتفاء الموانع.

أيها العاصي ادعُ الله، أو اطلب من الصالحين كثرة الدعاء لك، فعسى أن تحشر معهم ولست منهم.

يقول الإمام النووي رحمه الله : إن المذهب المختار الذي عليه الفقهاء والمحدثون وجماهير العلماء من الطوائف كلها من السلف والخلف أن الدعاء مستحب.

قال تعالى : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

ولكن اعلم أن للدعاء آداب وشروط فمن آداب الدعاء :

أولًا : أن يجزم الدعاء ويوقن بالإجابة، فعليه أن يسأل الله سبحانه وتعالى بعزم ورغبة وجد في مطلبه.

فيقول ﷺ :« ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يقبل دعاءً من قلبٍ غافلٍ لاهٍ »[1].

وكذلك يقول ﷺ :« لا يقل أحدكم إذا دعا :« اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت ليعزم المسألة فإنه لا مكره» [2].

غريب. وكذلك الحاكم في«المستدرك»(١/ ٤٩٠) وصححه. وأقره ووافقه الذهبي. وابن حبان وصححه (٥٩٩/ ٢٣٩٧) موارد ، وحسنه الشيخ الألباني وراجع «صحيح الجامع» برقم (٥٣٩٢) والمشكاة برقم (٢٢٣٢).

(١) الحديث : حسن بشواهده : أخرجه الترمذي في«السنن»(٥/ ٥١٧) كتاب الدعوات (٤٩) باب (٦٦) «ح»(٣٤٧٩) وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ،والحاكم في«المستدرك»(١/ ٤٩٣) في سنده : صالح بن بشير : ضعيف ، ضعفه ابن معين. وقال البخاري : منكر الحديث وتركه النسائي. وراجع الميزان (٣/ ٤٠٣) برقم (٣٧٧٣) ، والتهذيب (٤/ ٣٨٢) ولكن له شاهد عند أحمد في«المسند»(٢/ ١٧٧) ، وحسنه الألباني بشواهده وراجع «صحيح الجامع»(٢٤٥) والصحيحة (٥٦٤).

(٢) الحديث : صحيح. أخرجه البخاري (١٣/ ٤٤٨) كتاب التوحيد (٩٧) باب (٣١) «ح»(٧٤٧٧) ، ومسلم في «صحيحه» (٤/ ٢٠٦٣) كتاب الذكر.. (٤٨) «ح»(٩/ ٢٦٧٩) وأبو داود (١٤٨٣) والترمذي (٣٤٩٢) وراجع الرياض برقم (١٧٤٣) بتحقيقنا.

ثانيًا : أن يفتتح الدعاء بحمد الله تعالى والثناء عليه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، ثم يختم بالصلاة على النبي ﷺ.

ففي الحديث : سمع رسول الله ﷺ رجلًا يدعو في صلاته، ولم يحمد الله تعالى ولم يُصلّ على النبي ﷺ فقال :« عجل هذا » ثم دعاه فقال له ولغيره :« إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه عز وجل والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يدعو بما شاء »[(١)].

ثالثًا: أن يعظم الرغبة في ربه عز وجل لقوله ﷺ :« إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء »[(٢)].

رابعًا : لا يعجل ولا يقول : دعوت ولم يستجب لي.

ففي الحديث: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول: دعوت فلم يستجب لي»[(٣)].

خامسًا : الإخلاص لله.

وهذا الأدب هو أعظم الآداب في إجابة الدعاء؛ لأن الإخلاص هو الذي تدور عليه دوائر الإجابة، قال عز وجل : ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾.

فمتى دعا ربه غير مخلص فهو حقيق بأن لا يجاب إلا أن يتفضل الله عليه، فهو

---

(١) الحديث : أخرجه أبو داود ـ الصلاة (١٤٦٨) والنسائي ـ السهو (٣/ ٤٤) والترمذي ـ الدعاء (١١/ ٢١) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وجاء أيضًا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صلاة الحاجة فيه «ثم ليثنى على الله وليصلى على النبي »ولكن إسناده ضعيف. أخرجه الترمذي (٢/ ٢٠-٢٠) «ح»(٤٧٨)، والحاكم (١/ ٣٢٠) وفيه فائدة :هو أبو الورقاء : ضعيف جدًا . قال البخاري : منكر... ، وهو عند ابن ماجه (١٨٩) باب الإقامة.

(٢) الحديث: صحيح، أخرجه مسلم في «صحيحه» (٤/ ٢٠٦٣).. كتاب الذكر (٤٨) باب (٢٥) «ح» (٨/ ٢٦٧٩) وانظر رياض الصالحين برقم (١٧٤٣) عقبه بتحقيق المؤلفين.

(٣) الحديث : صحيح ، أخرجه مسلم في «صحيحه» (٤/ ٢٠٩٦) كتاب الذكر.. (٤٨) باب (٢٥) «ح» (٩٢/ ٢٧٣٥) ، والبخاري (١١/ ١٤٠) كتاب الدعوات (٨٠) باب (٢٢) «ح»(٦٣٤٠) والترمذي (٥/ ٢٥٠) «ح»(٣٣٩٨) وقال : حسن صحيح ، وأحمد (٤/ ١٣٠٠٧).

ذو الفضل العظيم.

سادسًا : الإلحاح في الدعاء ويكرره ثلاثًا أو أكثر.

لحديث ابن مسعود - رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ إذا دعا دعا ثلاثًا وإذا سأل سأل ثلاثًا[1].

سابعًا : أن يطيب مطعمه، ويصل رحمه يقول ﷺ :«**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا**».

ويقول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾.

وفي هذا الحديث يقول : ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء : يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟![2].

ثامنًا : خفض الصوت بحيث يكون بين الجهر والمخافتة.

فيقول ﷺ :« **يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم** »- أي :ارفقوا بها واخفضوا أصواتكم - «**إن الذي تدعون ليس أصمًا ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا بصيرًا**»[3].

وقال تعالى :﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾.

ويقول عن زكريا :﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾.

---

(١) الحديث : حسن ، أخرجه أبو داود (١٥١٠) وفي جامع الأصول (٤/ ٦٣) قلت : والإلحاح ثابت في غزوة بدر الكبرى حيث يقول أبو بكر للرسول : (ألححت على ربك) أخرجه البخاري (١٨/ ٢٥٣) «ح»(٤٨٧٥) و(٤٨٧٧).. وأحمد (٥/ ١٨) وقال العلامة أحمد شاكر : صحيح - وعند مسلم «سقط رداؤه »(٣/ ١٣٨٤) «ح»(١٧٦٣).

(٢) الحديث : صحيح ، أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢/ ٧٠٣) - كتاب الزكاة (١٢) باب (١٩) «ح»(٦٥/ ١٠١٥).

(٣) الحديث : صحيح ، أخرجه البخاري - في المغازي - باب (٣٨) «ح»(٤٢٠٥) ومسلم في الذكر والدعاء ، باب (١٣) «ح»(٢٧٠٤) وأبو داود - الصلاة (١٥٢٦) ، وابن ماجه الأدب - باب (٥٩) «ح»(٣٨٢٤) والترمذي - كتاب الدعوات. باب (٣) «ح»(٣٣٨٥) باختصار وقال : حسن ، وأحمد في «المسند»(٧/ ١٩٦١٦).

ناسعًا : اغتنام الأحوال التي يقبل فيها الدعاء.

ومن هذه الأوقات :

١- الثلث الأخير من الليل، يقول عز وجل :« من يدعوني فأستجب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له »[١].

٢- الدعاء بين الأذان والإقامة، يقول ﷺ :« الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة ». قالوا : فماذا نقول يا رسول الله؟ قال : « سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة »[٢].

٣- وقت السجود لقوله ﷺ :« أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء »[٣].

٤- عند نزول الغيث (المطر) يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ﴾[الشورى : ٢٨].

٥- الدعاء يوم عرفة لقوله ﷺ :«خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير »[٤].

٦- الدعاء يوم الجمعة، يقول ﷺ :« إن في الجمعة ساعة لا يسأل الله العبد

---

(١) الحديث : صحيح ، أخرجه البخاري - التوحيد (١٣/ ٤٦٤) ، ومسلم - صلاة المسافرين (٦/ ٣٨-٣٩) وأبو داود - الصلاة (١٣٠١) والترمذي - الدعوات - (١٣/ ٣٠).

(٢) الحديث : صحيح ، أخرجه أحمد في«المسند»(٤/ ١٢٢٠١) وأبو داود في الصلاة (٥٢١) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٦٨) (٦٩) وابن حبان في «صحيحه» (١٦٩٦) والترمذي أحاديث شتى باب (٣٨) «ح»(٣٦٠٥) وقال : حديث حسن وعبد الرزاق في«المصنف»(١٩٠٩) وابن خزيمة (١٤٢٥) والبيهقي (١/ ١٤٠).

(٣) الحديث : صحيح ، أخرجه مسلم في «صحيحه» ، (١/ ٣٥٠) كتاب الصلاة (٤) باب (٤٢) «ح»(٢١٥/ ٤٨٢).

(٤) الحديث : ضعيف الإسناد ، أخرجه الترمذي (٥/ ٣٣٨-٣٣٩) «ح»(٣٥٩٦) وقال : هذا حسن غريب من هذا الوجه وحماد بن أبي حميد هو أبو إبراهيم الأنصاري.. وليس هو بالقوى عند أهل الحديث.

فيها شيئًا إلا أتاه إياه »[١]، وفي حديث: «وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يصلي فيسأل الله فيها شيئًا إلا أعطاه إياه »[٢].

٧- كذلك الدعاء في جوف الليل ودبر كل صلاة، ويدل على ذلك ما أخرجه الترمذي وحسنه من حديث أبي أمامة قال : قيل :يا رسول الله أي الدعاء أسمع؟ قال : « جوف الليل ودبر الصلوات».

٨- الدعاء في وقت النداء وعند البأس وفي هذا الحديث الجامع يقول الرسول ﷺ :«اثنتان لا تردان : الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلتحم بعضهم بعضًا، وبين الأذان والإقامة، ودبر الصلوات المكتوبات، وفي السجود ».

(أخرجه مالك وأبو داود).

٩- وكذلك الدعاء ليلة القدر.

عاشرًا : رفع اليدين حذو المنكبين أثناء الدعاء.

فلقد تواترت الأحاديث على رفع اليدين أثناء الدعاء.

قلت : وهذا تواتر ضمني، فكل قضية منها لم تتواتر، والمقدار المشترك فيها وهو الرفع عند الدعاء، فيكون التواتر تواترًا ضمنيًا باعتبار المجموع. يقول السيوطي رحمه الله : قد روي عنه ﷺ نحو مائة حديث فيه رفع اليدين في الدعاء وقد

---

(١) الحديث : أخرجه الترمذي (٢/ ٣١-٣٢) «ح»(٤٩٠) وقال : حسن غريب. وابن ماجه باب (٩٩).
قلت : وهذا الحديث اختلف فيه ففي إسناده : كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف : ضعيف جدًا ، بل قال بعضهم إنه كذاب : وتعقب الذهبي الترمذي في تحسين حديث الصلح من روايته إلا أن الحديث قد حسنه بعض العلماء فقد حسنه الترمذي ، وقال عن هذا الحديث الإمام البخاري : هو حديث حسن ، إلا أن أحمد كان يحمل على كثير يضعفه ، وقد روى يحيى بن سعيد الأنصاري ، فهذا هو البخاري يوافق الترمذي على تحسينه ، ومن أراد الزيادة فعليه بكتاب «رياض الصالحين» بتحقيق المؤلفين.

(٢) الحديث أخرجه مالك في الموطأ (١٦) وأحمد في «المسند»(٣/ ٩٤١٣) والنسائي في الجمعة باب (٥٠٤) ، (٤٥) والترمذي (٢) «ح»(٤٩١) وقال : حسن صحيح. وأبو داود في «الوتر» باب (٢٦).

جمعتها في جزء. اهـ.

ومن ذلك أيضًا: استقبال القبلة أثناء الدعاء وإظهار الخضوع والإذعان لله سبحانه وتعالى.

الحادي عشر : التوبة وصلاح باطنه.

يقول تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ﴾ [البقرة : ١٨٦].

ففي الآية لفظ ﴿عِبَادِي﴾ أي : نسبهم الله سبحانه وتعالى إلى نفسه وهذا يدل على علو مرتبتهم.

فعليك **أيها العاصي** التوبة أولًا من الذنوب، واللجؤ إلى الذي يستر العيوب وعلام الغيوب، فإنه سبحانه وتعالى مطلع على القلوب.

- قال سفيان الثوري رحمه الله : الدعاء حقيقة هو ترك الذنوب، فمن تركها فعل الله تعالى به ما يختار من غير سؤال.

- وقال رجل لزياد بن ظبيان رحمه الله تعالى : كَثَّرَ الله في المسلمين من أمثالك.

فقال : لقد سألت الله شططًا، وسألت للناس أن يكونوا من أهل الشر.

- وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : أطال الله بقاءك.

فقال : هذا أمر قد فُرِغَ منه، ادْعُ لي بصلاح الحال.

- وقال رجل لعامر بن قيس رحمه الله : ادع الله لي.

فقال : والله إني لأستحي منه عز وجل أن أسأله شيئًا يسرني، فكيف أسأله لغيري؟! ويحك إنها شفاعة ولا تكون إلا من المقربين.

انظر أيها العاصي إلى فعل الدعاء من الصالحين إلى الله الواحد الغفار :

- كان في زمن بعض السلف رحمهم الله امرأة جميلة في دار مزركشة لا تمنع أحدًا من نفسها، فجلس هذا الصالح يومًا على بابها فلم يدخل لها أحد، فسألت

جاريتها عن ذلك فقالت : بالباب رجل صالح، فقالت السيدة : دعيه يدخل، فلما دخل قالت له : ما حاجتك؟ قال : تنامين عندي ليلة واحدة.

قالت السيدة : ليلتي بمائة دينار. فذهب وعمل وَجدَّ حتى أتى بهذا المبلغ، ثم ذهب إليها بعد ذلك، فأخذت المائة دينار.

ثم قالت له : ماذا تريد؟

قال الصالح لها : تلبسين ثيابي وتمشين أربع خطوات أمامي، فلما فعلت ذلك، رفع الصالح يديه تجاه الباب الذي لا يغلق أبدًا، تجاه جبار السموات والأرض، تجاه من خضعت له الملوك، تجاه من يقول للشيء كن فيكون.

ثم قال : اللهم إني أصلحت ظاهرها فأصلح أنت يا إلهي باطنها.

ثم قال لها الصالح : انزعي ثوبي.

قالت المرأة بلسان الصدق : معاذ الله قد تبت إلى الله توبة لا عودة بعدها للذنب أبدًا.

• انظر **أيها العاصي** إلى فعل الدعاء الصالح من رجل صالح إلى رب كريم سامع، والله كأني بك **أيها العاصي** مثل هذه المرأة لا تمنع نفسك من الشهوات واللَّذَّات، ولكن عمَّا قليل تُحْمَلُ إلى الجبانات وتدفن فيها.

ورحم الله القائل :

أتهزأ بالدعـــاء وتزدريه ... وما يدريك ما صنع الدعاء؟
سهام الليل لا تخطئ ولكـن ... لها أمـــد وللأمـــد انقضاء
وقد شاء الإله بما تراه ... فما للملك عندكم بقاء [1]

(١) نحب أن ننوه على كتاب «الجامع المتين في شتى أمور الدين» ففيه الكثير من العبر والعظات التي تتساقط لها الدموع في غمرات علاوة على الفقه والحديث، وهو تأليف المؤلفين.

أيها العاصي
عجل بتوبة قبل الممات

التوبة من الذنوب بالرجوع إلى علام الغيوب، وغفار الذنوب، مبدأ طريق السالكين، ورأس مال الفائزين، وأول إقدام المريدين، ومفتاح استقامة المائلين، ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين.

ومنزلة التوبة أول المنازل وأوسطها وآخرها، فلا يفارقه العبد السالك، ولا يزال فيه إلى الممات وإن ارتحل إلى منزل آخر ارتحل به واستصحبه معه ونزل به، فالتوبة هي بداية الطريق ونهايته.

يقول تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١].

لقد علق الفلاح بالتوبة، وأتى بكلمة (لعل) إيذانا بأنكم إذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون. وقال تعالى : ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات : ١١].

فقسم العباد إلى تائب وظالم، وليس ثمَّ قسم ثالث، وأوقع اسم الظلم على من لم يتب.

وقال تعالى : ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان:٧١].

أيها العصاة إنها البشارة لكم وأي بشارة !

إذا كان الحق سبحانه وتعالى ارحم بالعبد من أمه بنفسه فكيف لا يقبل العبد على طاعته ويقلع عن معصيته ويقدم بين يديه ما يعود نفعه عليه.

وقد قال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾؟!

ورحم الله القائل :

يا من له علم الغيوب ووصفه ستر العيوب وكل ذاك سماح
أخفيت ذنب العبد عن كل كرمًا فليس عليه ثمَّ جناح
فلك التفضل والتكرم والرضا أنت الكريم الواهب الفتاح

• روي أن يعقوب بن الليث أمير خراسان أصابته عِلَّةٌ عجز الأطباء عنها، فقالوا : هنا رجل من أهل الصلاح اسمه :سهل بن عبد الله لو استحضرته ليدعو لك.

فقال :عليَّ به فلما حضر إليه، قال له : ادع الله لي أن يعافيني من هذه العلة.

فقال له سهل : كيف أدعو لك وأنت مقيم على الظلم فتب إلى الله أولًا ؟

فنوى يعقوب التوبة والرجوع إلى الله والكف عن الظلم والمعاصي وإطلاق المسجونين.

فقال سهل : اللهم كما أريته ذُلَّ المعصية فأره عِزَّ الطاعة وفَرِّجْ عنه ما يضره.

فنهض من وقته وكأنما نشط من عقال، ثم عرض عليه المال فأبى.

• فالجأ إلى الله **أيها العاصي** فوالله المفر منه إليه لا عنه.

تب إلى الله فالباب مفتوح، قبل أن تكثر الذنوب وتفوح.

يقول ﷺ :« **إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر** »(1).

كأني بك أيها العاصي ينادى عليك حين الممات بلسان الحال :

كيف تركت ما أمرتك به واتبعت ما نهيتك عنه؟

---

(1) الحديث : صحيح أخرجه أحمد في«المسند»(٢/ ١٣٢) والترمذي (٥/ ٥٤٧) كتاب الدعوات (٤٩) باب (٩٩) «ح»(٣٥٣٨) وابن ماجه (٢/ ١٤٢٠) كتاب الزهد (٣٧) باب (٣٠) «ح»(٤٢٥٣) والحاكم في«المستدرك»(٤/ ٢٥٧) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وأقره ووافقه الذهبي. وابن حبان في «صحيحه» (٦٠٧/ ٢٤٤٩) موارد - وابن ماجه من طريق الوليد بن مسلم. والبغوي (١٣٠٦) وحسنه الشيخ الألباني. وراجع«المشكاة»برقمي (٢٣٤٣) و (٢٤٤٩) و«صحيح الجامع»برقم (١٩٠٣).

أما علمت أن مرجعك إِلَيَّ وأعمالك معروضة بين يديَّ؟

أنسيت عهدي، أم أنكرت وعيدي ووعدي؟

فالآن تخلى عنك الصاحب والصديق، وتجردت عن المال الوثيق، فلا المال نفعك في مآلك، ولا الصديق خلَّصك من قبيح أفعالك، فما حجتك ومعذرتك؟

وكأني بك تجيب على القول هذا فتقول:

احتوى على قلبي حب الدنيا وحب المال، فحملاني على الذنوب والأثقال، وها أنا قد صرت في جوارك، وأنا الليلة ضيفك فلا تعذبني بنارك، وإن لم ترحمني فمَنْ يرحمني؟!

فيأتيك القول السديد وكأني به يهز قلوب العصاة!

مضوا عنك وتركوك، ولو أقاموا عندك ما نفعوك، وإلى بابي وجهوك، وعلى كرمي خلَّفوك، طبْ نفسًا وقَرَّ عينًا فأنت ضيفي، والكريم لا يخيب ضيفه.

وينادي على الملائكة: أحسنوا في ضيافته، وكونوا عليه أشفق من أهله وقرابته.

ولكن **أيها العاصي** من نظنه هذا العبد؟

هو العبد التائب، وعلى حبال الله ماسك، وعلى سنة رسول الله ﷺ سالك، وأين أنت؟

يا ويلك في المهالك، ولن ينفعك حينئذ مالك، إن لم تتب إلى الله جل وعلا.

ورحم الله القائل:

يا راحم الغرباء يا من جوده ... قد عمَّني يا مؤنسي في وحدتي
أمسيت من أهلي غريبًا مفردًا ... أنت يا مولاي راحم غربتي

أيها العاصي، قف مع نفسك واسألها لماذا تعصين الله؟

أمن أجل شهوة فانية تبيعين شهوة باقية؟!

أمن أجل رزق والرزق مقسوم؟!

أمن أجل أكلة أكلتها من حرام فعمّا قريب سيأكلك الدود؟!

أمن أجل طاعة الشيطان تعصين الله الرحمن؟!

أمن أجل مشاركة فرعون وهامان في النار، وترك جنة الواحد الرحمن؟!

أمن أجل ترك سنة الرسول تسلكين طريق إبليس الملعون؟!

أمن أجل زوجة فقيرة أترك حوراء جميلة؟!

إذًا قل لنفسك بقول القائل :

خبز وماء وظل هو النعيم الأجل

جحدت نعمة ربي إن قلت إنّي مقل

وانظر إلى هذا الموقف لعله يقع على الذنوب، فيقطع العيوب، بإذن علام الغيوب :

• روي أنه كان في بني إسرائيل أخوان : مؤمن وكافر، وكانا صيادين في البحر، فكان الكافر يسجد للصنم ثم يطرح شبكته في البحر فتمتلئ من السمك حتى يثقل عليه إخراجها، وكان المؤمن يطرح شبكته فيقع فيها سمكة واحدة وهو حامد لله شاكر، فصعدت زوجته يومًا على سطح بيتها فنظرت إلى امرأة أخي زوجها الكافر مزينة بالحلي والحلل، فاشتغل قلبها ووسوس لها الشيطان.

فقالت امرأة الكافر : قولي لزوجك يعبد إله زوجي حتى يصير لك مثل مالي، فنزلت وهي مغمومة فدخل عليها زوجها المؤمن فوجدها متغيرة اللون.

فقال لها : ما شأنك؟!

فقالت : إما أن تطلقني وإما أن تعبد إله أخيك.

فقال لها : يا أمة الله أما تخافين الله؟ أتكفرين بعد إيمانك؟

فقالت : لا تكثر الكلام عليّ ولا أكون عريانة وغيري بالحلي والحلل.

فلما رأى منها الجد في قولها قال لها : لا تجزعي وفي غَدٍ إن شاء الله أمضي إلى دار الفعلة (العمل باليومية) أعمل كل يوم بدرهمين أدفعهما لك لتصلحي بهما شأنك فرضيت بذلك وسكن ما بها، ثم بَكَّرَ الرجل إلى دار الفعلة وجلس بينهم فلم يأخذه أحد، فلما أيس ممن يستعمله مضى إلى ساحل البحر وعبدالله إلى الليل وهو يدعو الله ويبكي وينتحب، ثم انصرف إلى منزله.

فقالت له زوجته : أين كنت؟

فقال الزوج المسكين : كنت عند الملك (يعني : الله) وقد واعدني وشارطني على عمل.

فقالت له : كم يعطيك الملك؟

فقال : الملك كريم وخزائنه ملآنة، غير أنه شارطني على أحد وثلاثين يومًا ويعطيني ما أريد فَصَدَّقَتْهُ، فصار يمضي كل يوم إلى موضعه يعبد الله عز وجل ويبكي، حتى جاءت ليلة الثلاثين.

فقالت له زوجته : إن لم تأتني في غَدٍ بالكراء فطلقني.

فخرج الرجل وهو خائف من ذلك فوجد يهوديًا.

فقال له : أنت تشتغل؟

قال : نعم، فشارطه أن لا يأكل عنده شيئًا فصام الرجل ذلك اليوم، فأوحى الله تعالى إلى ملك من الملائكة أن اجعل تسعة وعشرين دينارًا في طبق وَامْضِ بها إلى زوجة المؤمن فأوصلها إليها، وقل لها : أنا رسول الملك إليك وهو يقول لك : كان زوجك في عملنا فما تركناه حتى تركنا ومضى مع يهودي، وهذا النقص بسبب ذلك، ولو زاد لزدناه، فأوصلها إليها وبلغها الرسالة، ثم إنها أخذت دينارًا من ذلك ومضت إلى السوق، فأوصلوها فيه إلى ألف درهم ؛ لأنه كان مكتوبًا عليه : لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

فلما أتى الرجل إلى منزله، قالت له زوجته : أين كنت يا هذا؟

قال : كنت أعمل عند اليهودي ؛ لأن الملك بخل عَلَيَّ.

فقالت له : يا مسكين كيف تترك خدمة الملك وتخدم غيره؟

وأخبرته بما جرى فبكى حتى غشي عليه، فلما أفاق تاب إلى الله ولزم عبادته.(١)

يقول علي رضي الله عنه : احذروا النساء فإن فيهن ثلاث خصال من اليهود : يتظلمن وهن ظالمات، ويحلفن وهنَّ كاذبات، ويتمنعن وهنَّ راغبات.

ورحم الله القائل :

تعصي وتجهر بالعصيان إعلانًا ... واستر الذنب إنعامًا وإحسانًا

ولا أجازي مسيئًا بالفعال ولا ... أجزي الذي تاب عصيانًا

ومن أتى تائبًا منكسرًا ... نعطيه من فضلنا عفوًا وغفرانًا

---

(١) انظر المصابيح (٢/ ١٥٠-١٥١) وكذلك الجامع المتين في شتى أمور الدين للمؤلفين ، وأبو بكر في كتاب الفرج. قلنا : يجوز حكاية هذا الخبر الإسرائيلي ؛ لأننا علمنا صحته مما في أيدينا ، وراجع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ ابن كثير. وقد نقلناه ، وقد روى أحمد في الزهد نحوه إلا أن فيه أن الله أطلع الملك على مكان المؤمن في الجنة والكافر في النار.. ، وقد ذكره المعيري في كتابه «الذنوب» (ص/ ١١-١٢).

شـــروط التوبـــة

وقبل أن نسترسل في قصص التائبين، وزاد الصالحين، ومعين المؤمنين، إلى التوبة لرب العالمين نأتي بشروط التوبة.

يقول الإمام النووي [1] رحمه الله : التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط :

أحدها : أن يقلع عن المعصية.

والثاني : أن يندم على فعلها.

والثالث : أن يعزم أن لا يعود إليها أبدًا .

فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة هذه الثلاثة وأن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالًا أو نحوه رده إليه، وإن كانت حد قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه، وإن كانت غيبة استحله منها، ويجب أن يتوب من جميع الذنوب، فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب، وبقي عليه الباقي.

وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على وجوب التوبة :

- يقول ﷺ: **«كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»** [2].

ويقول أيضًا : **«إن الله جعل بالمغرب بابًا عرضه مسيرة سبعين عامًا للتوبة، لا**

---

(١) النووي هو : الإمام محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الحوراني الشافعي ، ولد سنة ٦٣١هـ وتوفى سنة ٦٧٦هـ ، وراجع ترجمته في الشذرات (٥/ ٣٤٥) والعبر (٥/ ٣١٢) وتذكرة الحفاظ (٤/ ١٤٧) والبداية والنهاية (١٣/ ٢٧٨) والدارس (ص/ ١-٢١-٣٩-١٣٥-٢٦٨) للنعيمي ، وذيل مرآة الزمان (٣/ ٣٨٣-٣٨٤) ، وراجع ترجمته بزيادة في «رياض الصالحين» (ص/ ٢-٣-٦) بتحقيق المؤلفين.

(٢) الحديث : صحيح ، أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ١٩٨) والترمذي (٤/ ٦٥٩) كتاب صفة القيامة (٣٨) باب (٤٩) «ح» (٢٤٩٩) وابن ماجه (٢/ ١٤٢٠) - كتاب الزهد (٣٧) باب (٣٠) «ح» (٤٢٥١) والدارمي في «السنن» (٢/ ٣٠٣) . وهي عنده بلفظ : «وخير الخطائين التوابين» وحسنه الشيخ الألباني. وراجع «المشكاة» برقم (٢٣٤١) و«صحيح الجامع» برقم (٤٥١٥).

يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله، وذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: في قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾: قال رسول الله ﷺ:

إن تغفر اللهم تغفر جمًّا وأي عبد لك لا ألما[2]

ويقول ﷺ: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»[3].

وقال الحسن البصري رحمه الله: هي أن يكون العبد نادمًا على ما مضى مجمعًا على أن لا يعود فيه.

وقال الكلبي رحمه الله تعالى: أن يستغفر باللسان، ويندم بالقلب، ويمسك بالبدن.

وقال ابن القيم رحمه الله: النصح في التوبة يتضمن ثلاثة أشياء:

أولًا: تعميم جميع الذنوب واستغراقها بحيث لا تدع ذنبًا إلا تناولته.

ثانيًا: إجماع العزم والصدق بكليته عليها بحيث لا يبقى عنده تردد ولا تلوم ولا انتظار بل يجمع عليها كل إرادته وعزيمته مبادرًا بها.

---

(١) الحديث: صحيح، أخرجه أحمد (٤/ ٢٤١) والطيالسي (١٦٠-١٦١/ ١١٦٨) وابن ماجه (٢/ ١٣٥٣) كتاب الفتن (٣٦) «ح»(٤٠٧٠) والترمذي (٥/ ٥٤٦-٥٤٧) كتاب الدعوات (٤٩) «ح»(٣٥٣٦) وقال: حسن صحيح، والطبراني في الكبير (٨/ ٧٠) «ح»(٧٣٦٠) والبيهقي (١/ ٢٨٢) ـ«الكبرى»، والسيوطي في «الدر» (٣/ ٥٩) والطبري في جامع البيان (٨/ ٧٢).

(٢) الحديث: صحيح، أخرجه الترمذي (٥/ ٣٩٦-٣٩٧) ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) «ح»(٣٢٨٤) وقال: حسن صحيح غريب. وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٩٧١) والنسائي «الكبرى» (٦/ ١١٥٠٤١) والطبري في «جامع البيان (٢٧/ ٣٠) وابن خزيمة (١/ ٥٠٤) توحيد، والطيالسي (٣٢٣) وابن منده (٧٥١)، و(٧٥٢) والحاكم (٢/ ٣٧٤٦) وصححه على شرط الشيخين ووافقه وأقره الذهبي. والسيوطي في «الدر» (٦/ ١٢٣).

(٣) الحديث: صحيح أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٩٩) وأبو داود (٣/ ٧-٨) كتاب الجهاد ـ (٩) «ح»(٢٤٧٩) والمزي في «تحفة الأشراف» (٨/ ٤٥٤) «ح»(١١٤٥٩) عزاه للنسائي، والسيوطي في «الدر» (٣/ ٥٩) والدارمي (٢/ ٢٣٩-٢٤٠) السير، وصححه الشيخ الألباني، وراجع «المشكاة» برقم (٢٣٤٦)، والإرواء برقم (١٢٠٨)، و«صحيح الجامع» برقم (٧٤٦٩).

ثالثًا: تخليصها من الشوائب والعلل القادحة في إخلاصها ووقوعها لمحض الخوف من الله وخشيته.

فهيا يا مسكين، تخلص من هذا العذاب الأليم، وتب إلى الله الغفور الرحيم، وستجد عنده الخير الوفير الغزير، فهيا إلى الله الرءوف الرحيم.

أيها العاصي ألا تخجل من ذكر الله وأنت تعصاه؟!

• كان الحسن بن صالح رحمه الله تعالى يؤذن مرة فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، فغشي عليه فحَملوه من المنارة ونزلوا به، وصعد أخوه فأذّن وصلى بالناس والحسن في غشيته.

وكان يقول عنه سليمان الداراني رحمه الله: ما رأيت أحدًا أكثر خشوعًا من الحسن - يعني: ابن صالح - قام ليلة إلى الصباح بسورة (عم يتساءلون) يرددها ويغشى عليه إلى الفجر، ولم يتم السورة وكان كلما غشي عليه يجدد الطهارة.

أيها العاصي ألا تتفكر في أهوال القيامة؟!

قال أبو سليمان الداراني رحمه الله:

صلى سفيان الثوري ركعتين خلف المقام، ثم نظر إلى السماء فانقلب مغشيًا عليه.

قال الداراني: وما فعل به ذلك مجرد نظره إلى السماء، وإنما ذلك من التفكر في أهوال القيامة.

أيها العاصي ألا تكف عن ظلم أخيك في عرضه أو ماله؟!

قال سفيان الثوري رحمه الله: لأن تلقى الله تعالى بسبعين ذنبًا فيما بينك وبينه أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد.

أيها العاصي تذكر فضيحتك يوم العرض والناس قيام ينظرون!

• كان أبو عبدالله السمرقندي رحمه الله إذا مدحه أحد يقول:

والله ما مثلي ومثلكم إلا كجارية ذهبت بكارتها بالفجور وأهلها لا يعلمون بذلك، فهم يفرحون بها ليلة الزفاف وهي حزينة خوف الفضيحة.

أيها العاصي هلّا تذكرت ساعة وفاتك؟ وحينئذ تتذكر حسراتك!

• لما حضرت الوفاة محمد بنَ المنكدر قال وهو يبكي :

أبكي على ذنوبي التي رأيتها هينة وهي عند الله عظيمة.

• ولما حضرت الوفاة محمد بن سيرين جعل يبكي، فقيل : ما يبكيك يا إمام؟

قال : أبكي على تفريطي في الأيام الخالية وإدخالي النار الحامية.

• ودخلوا على عتبة الغلام وهو في مرض موته فقالوا : كيف تجدك؟ فقال [١] :

خرجت من الدنيا وقامت قيامتي غداة يقل الحاملون جنازتي
وعجل أهلي حفر قبري وصيروا خروجي وتعجيلي إليه كرامتي
كأنهم لم يعرفوا قط صـــورتي غداة أتى يوم القيامة عليَّ وليلتي

• ولما مرض أبو بكر بن عياش رحمه الله دخل عليه طبيب نصراني، فمنعه أن يمس يده، فلما قام النصراني أتبعه أبو بكر بصره، ثم قال:

يا رب كما عافيتني من بلائه الذي هو الكفر فافعل بي ما شئت.

طرفة :

• كان حاتم الأصم إذا رأى بخيلًا يتصدق في مرضه يقول : اللهم أدم مرضه فإنه تكفير لخطاياه، وأفضل للفقراء.

• ولما مرض وهيب بن الورد سُيِّرَ إليه طبيب نصراني.

---

(١) لقد شرعنا ولله الحمد في كتاب يضم أخلاق الصحابة والتابعين والسلف الصالح في غالب الأمور تحت اسم «أنيس الصالحين وزاد المؤمنين إلى رب العالمين» وهذه المواقف من كتابنا هذا ـ ولله الحمد والمنة.

فقال له الطبيب : ما تجد؟

قال : معاذ الله أن أخبرك بما بي.

فقال له القوم : أخبرنا نحن ونحن نخبره.

فقال : سبحان الله.. أين هذه العقول؟! أتأمروني أن أشكو الله ربي إلى عدو من أعدائه قوموا عني أجمعين.

• ولما بلغ يزيد بن عبد الملك وهو مريض، أن هشامًا سُرَّ بمرضه وتمنى موته، أنشأ يقول :

تمنى رجال أن أموت وإن أمت ... فتلك سبيل لست فيها بأوحد

فقل للذي يبغي خلاف الذي ... تهيأ لأخرى مثلها فكأن قد

توبة شاب

• يروى أنه كان بالبصرة شاب يقال له: رضوان، كثير اللهو والعصيان والتيه والطغيان، يبيت الليالي بالخمر سكران، قد غلبته شقاوته وأغواه الشيطان، فبينما هو في بعض الليالي معتكف على شرب المدام، ومعه جماعة من أصحابه المواقعين له على الذنوب والآثام، إذْ سمع رجلًا فقيرًا ينشد في الطريق ويقول:

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل خَلَوْتُ ولكنْ قل: عليَّ رقيب
ولا تحسبنَّ الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفي عليه يغيب

فبكى الشاب وقال:

بالله عليك يا فقير، إلا ما أعدت قولك؟

وأقسم عليه أن يحضر مجلسهم وقال له: غَنِّ لنا وأطربنا، فقال الفقير:

تعصي الإله وأنت تأكل رزقه ويراك إذًا من خلقه تتكتم
فاحذر فما حاولت أمرًا منكرًا إلا وينظره لديك ويعلم

وظل ينشد إلى أن قال:

وواحزناه من حشري ونشري ليوم يجعل الولدان شيبًا
فيا مولاي جد بالعفو وارحم عبدًا لم يزل يشكو الذنوبا
وسامح هفوتي وأجب دعائي فإنك لم تزل أبدًا مجيبًا

فلما سمع الغلام هذا الكلام، سقط على الأرض، فلما حرَّكوه فإذا به قد مات.

موعظة (١)

• خرج أحد السلف يومًا من داره وكان يخاف على نفسه المعصية، فكان إذا دخل السوق ربط عصابة على عينيه ويأخذ بيده غلام، فلما كان في هذا اليوم، قال لغلامه : يا غلام أين نحن؟

قال الغلام : عند المقابر، فنزع الرجل العصابة، وما أن نزعها ووقع بصره على المقابر حتى بكى قائلًا : واذنباه واذنباه، وهو يبكي وينتحب حتى سقط على الأرض ميتًا رحمه الله.

هيا **أيها العاصي** أقبل على ربك واترك المعاصي.

• وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول : اللهم إن إبليس لك عدو وهو لنا عدو، ولا تغيظه بشيء هو أنكى عليه من عفوك، فاعف عنَّا برحمتك يا أرحم الراحمين.

سئل سفيان بن عيينة رحمه الله : ما علامة التوبة النصوح؟

فقال : أربعة أشياء : قلة الدنيا، وذلة العيش، وكثرة التقرب إلى الله تعالى بالطاعات، ورؤية القلة والنقص في ذلك.

• قال بكر بن عبدالله المزني رحمه الله : لو أن مذنبًا طاف على سائر المجالس والأبواب وهو يقول : استغفروا الله لي لكان ذلك أولى من سؤاله لهم اللقمة والخلقة ونحوهما.

ورحم الله القائل :

أنا العبد الذي كسب الذنوبا ... وصدته المعاصي أن يتوبا

أنا العبد الذي أضحى حزينًا ... على زلاتـــه دنفًا كئيبًا

---

(١) لقد شرعنا ولله الحمد في كتاب يضم أخلاق الصحابة والتابعين والسلف الصالح في غالب الأمور تحت اسم «أنيس الصالحين وزاد المؤمنين إلى رب العالمين» وهذه المواقف من كتابنا هذا ـ ولله الحمد والمنة.

أنا العبد الذي سطرت عليه صحائف لم يخف فيها الرقيبا
أنا العبد المسيء عصيت ربي فما لي الآن لا أبدي النحيبا
أنا العبد السقيم من الخطايا وقد أقبلت ألتمس الطبيبا
أنا العبد المخلف عن أناس حووا من كل معروف نصيبًا

أيها العاصي :

لقد خسر من طلب الفاني وهو عنه راحل، أما يشهد حادي الحديد وهو يطوي من العمر المراحل؟

أما ترى الليل والنهار مرصدين لحمل الأعمال بالرواحل؟

أما ترى من قيل بظلها كيف زال بظلها الزائل؟

أما ترى من عَمَّر إذا سئل قال : لبثت أيامًا قلائل؟

أما ترى من شَيَّدَ الحصون وعقل العقائل أبادهم بسيف الحمائم؟ فكل عن ملكه زائل.

أين قوم نوح وعاد وثمود وتبع والملوك الأوائل؟

أين من اندرست معالمهم وعادت دروسًا تدرس ليعتبر الظالم والجاهل؟

أما تتعظ بهم يا عاصي؟!

توبة صاحبة الطار

• قال صالح المري رحمه الله تعالى : رأيت جارية تغني بالطار فمرت يومًا على قارئ يقرأ قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فرمت الطار من يدها وصرخت، ثم سقطت إلى الأرض مغشيًا عليها، فلما أفاقت كسرت الطار وأخذت في العبادة والاجتهاد، حتى شاع ذكرها.

قال صالح : فدخلت عليها يومًا فكلمتها الرفق بنفسها وهي تبكي :

ليت شعري أهل النار من قبورهم كيف يخرجون، وعلى الصراط كيف يعبرون، ومن أهوال يوم القيامة كيف يخلصون وللحميم يتجرعون، ولتوبيخ المولى كيف يسمعون؟

ثم سقطت على الأرض مغشيًا عليها، فلما أفاقت، قالت :

يا مولاي عصيتك وأنا غضة رطبة، وها أنا يابسة خشنة، أتراك تقبلني؟

ثم قالت : أواه كم من فضيحة تكشفها القيامة غدًا؟

ثم صرخت وبكت.

فلم يبق أحد في المجلس حتى غشي عليه من شدة البكاء.اهـ.

ورحم الله القائل :

أستغفر الله مما كان من زللي ... ومن ذنوبي وتفريطي وإصراري
يا رب هب لي ذنوبي يا كريم ... أمسكت حبل الرجا يا خير غفار

وقال آخر :

تعطف بفضل منك يا مالك ... فأنت ملاذي سيدي ومعيني
لئن أبعدتني عن جنابك زلتي ... فإن رجائي فيك حسن يقيني
وظني جميل أنني منك أرتجي ... عواطفك الحسنى فخذ بيميني

إسلام الرهبان

• كان الشيخ أبو مدين رحمه الله تعالى في مدينة الأندلس فسمع به رهبان دير يعرف بدير الملك، وكانوا سبعين نفرًا فأرسلوا من أكابرهم عشرة ليمتحنوا الشيخ. فتنكروا ولبسوا زي المسلمين ودخلوا المسجد وجلسوا مع الجالسين ولم يعلم بهم أحد.

فلما أراد الشيخ أن يتكلم سكت حتى دخل رجل خياط، فقال له الشيخ : ما

أبطأك؟

فقال حتى فرغت من العشرة طواقي (قلنسوات) التي أوصيتني عليها البارحة، فأخذها الشيخ منه ونهض قائمًا فألبس كل واحد من الرهبان طاقية، فتعجب الناس من ذلك ولم يعلموا الخبر.

ثم شرع الشيخ في الكلام في تفسير آية سجدة فسجد الشيخ وسجد الناس، فسجد الرهبان خشية الفضيحة والاشتهار.

فقال الشيخ في سجوده : اللهم إنك تعلم بتدبير خلقك ومصالح عبادك وأن هؤلاء الرهبان قد وافقوا المسلمين في لباسهم والسجود لك، وأنا قد غيرت ظواهرهم ولا يقدر على تغيير بواطنهم غيرك، وقد أجلستهم على مائدة كرمك، فأنقذهم من الشرك والطغيان، وأخرجهم من ظلام الكفر إلى نور الإيمان، فما رفع الرهبان رءوسهم من السجود إلا وقد قالوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وانتشر الخبر وكثر الصياح والبكاء في المسجد وكان يومًا مشهودًا.

أيها العصاة :

سار المتقون ورجعنا، وواصلوا وانقطعنا، وأصابوا وامتنعنا، ونجوا من الزلات ووقعنا، تعالوا ننظر في آثارهم وندرس أخبارهم ونبكي على ما نابنا ونندب على ما لحقنا وأصابنا.

ورحم الله القائل :

تذكرت أيامي وما كان من الصبا ... من الذنب والعصيان والجهل
وكيف قطعت العمر سهوًا ... فأسكبت دمعي حسرة وتلهفا
وناديت من لا يعلم السر غيره ... ومن وعد الغفران من كان قد
وعاد إليه من كبار ذنوبه ... فجار عليه بالجميل تعطفا
أغثني إلهي واعف عني فإنني ... أتيت كئيبًا مذنبًا متلهفًا

وقال وهب بن منبه : كنا معاشر بني آدم نسلًا من نسل الجنة فسبانا إبليس وأخرجنا منها إلى دار الفناء والبوار، فلا ينبغي لعاقل أن يفرح ويطمئن إلا بعد عودة إلى الدار التي خرج منها.

وكان سفيان الثوري يفرح إذا رأى سائلًا على بابه ويقول : مرحبًا مرحبًا بمن جاء يغسل ذنوبي.

وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول : نعم السائلون يحملون أزوادنا إلى الآخرة بغير أجرة حتى يضعونها في الميزان بين يدي الله.

وكان إبراهيم ابن أدهم رحمه الله قبل زهده في الدنيا إذا جاءه سائل يدخل إلى عياله ويقول لهم : قد جاءكم رسول المقابر فهل توجهون إلى موتاكم شيئًا من الصدقة؟ [1].

فستندمون يوم يفر الوالد من الأولاد، وتختلف الأمور، وينفخ في الصور، فأين الحسرات على فوات أمس؟

أينْ العبرات على مقاساة ظلمة الرمس؟

أين ما أعددتموه ليوم لا تجزي فيه نفس عن نفس شيئًا ؟

وستذهل إذا خشعت الأصوات فلا تسمع إلا همسًا، وَتُعَلَّقُ الصحائف في النحور، وتغلي النيران في الصدور، ونفخ في الصور.

ردد أيها العاصي وقل :

إذا ما قال لي ربي ... أما استحييت تعصيني

وتخفي الذنب عن خلقي ... وبالعصيان تأتيني

فما قولي له لما ... يعاتبني ويقصيني

آه على قلوب لم تتفكر في يوم الموت والرحيل.

آه على جنة عدن وظل ظليل.

آه على قسوة سلكت بالقلب إلى النار بئس السبيل.

آه على شراب من سلسبيل، آه على نعيم مقيل، آه على قلب بالذنوب عليل، آه على من شد عزمه للطاعة فأصبح وهو نبيل، آه على سابق إلى الرشد دليل.

أما آن لك يا مسكين أن تنقطع عن هواك؟

أما آن لك أن ترجع إلى باب مولاك؟

أنسيت أنه الذي خولك وأعطاك، أما خلقك فسواك؟

أما عطف عليك القلوب وبرزقه غذاك؟

أما ألهمك إلى الإسلام وهداك؟!

أما قربك بفضله وأدناك؟!

أما بره في طرفة عين يغشاك؟! فقابلت ذلك كله بالغفلة وركوب الشهوات البادرة بالخطايا والزلات، فنقضت عهده وعصيت أمره ودمت على الإصرار، وأطعت هواك وخالفت الجبار.

أما آن لك أن تستحي من شاهدك على المعصية والبهتان، والبعد عن مولاك الديان؟ إن عدت إليه قبلك وارتضاك، وإن لزمت خدمته قربك وأدناك.

ورحم الله القائل:

بكت عيني على ذنبي ... وما لاقيت من كربي
فيا ذلي ويا خجلي ... إذا ما قال لي ربي
أما استحييت تعصيني ... ولا تخشى من العتب
وتخفي الذنب من خلقي ... وتأبى في لهوك قربي
فتب مما جنيت عسى ... تعود إلى رضا الرب

مقام الخائفين من الله

• قيل: صعد ابن عمار المنبر، فأخذ في الوعظ والتخويف والزجر والتعنيف حتى كادت النفوس تهيم قلقًا وتموت فرقًا.

وكان في المجلس شاب مسرف على نفسه خائف من حلول رمسه، فانصرف وقد أثرت المواعظ في قلبه وندم على ما كان من ذنبه، وأتى إلى أمه، وقال لها: يا أماه دونك وما تريدين من كسر لهو الشيطان، وما كنت أعددت لمعصية الرحمن، وأخبرها بحضوره مجلس ابن عمار وما حصل له من الندم على الذنوب والأوزار.

فقالت له أمه: يا ولدي الحمد لله الذي ردك إليه ردًا جميلًا، وأنقذك من ذنوب كنت بها عليلًا، وإني لأرجو أن يكون الله تعالى قد رحمك ببكائي عليك، وقبلك وأحسن إليك، فكيف كان حالك يا ولدي عند سماع المواعظ؟

فأنشد يقول:

شمرت للتوبة أذيالي ... وصرت ذا طوع لعزالي
لما دعا الواعظ قلبي إلى ... طاعة ربي انحلت أقفالي
يا أم هل يقبلني سيدي ... على الذي قد كان من حالي
واسوأتي إن رَدني خائبًا ... أو صَدَّ عني حين إقبالي

ثم أقبل على صيام النهار وقيام الليل، وقد نحل جسمه وذاب لحمه، واصفر لونه فأتته أمه بقدح فيه سويق.

وقالت له: أقسمت عليك يا بني بالله إلا ما شربته، فقد أجهدت نفسك فلما صار القدح في يده جعل يبكي ويضطرب، ويذكر قول الله تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ ثم صرخ صرخة عظيمة وخر ميتًا.

هذا والله مقام الخوف يا من ضيع زمانه في (لعلَّ وعسى وسوف).

إخواني :

إن كنتم عاصين فقولوا أجمعين: لا إله إلا الله، فإنها تكفر الذنوب والعصيان، وإن كنتم طائعين فجددوا إيمانكم بقول : لا إله إلا الله، فإنها تجدد الإيمان، وتحرز الأمن والأمان والعفو والغفران من الملك المنان.

ما ضل عبد وأنت ترشده   وكيف يشقى من أنت تسعده
أم كيف يطفى اللهيب من   والشوق مني إليك يوقده

أيها العاصي

تذكر الموت وسوء الخاتمة (١)

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الجمعة:٨].

تذكر أيها العاصي:

أن هادم اللذات ومفرق الجماعات قد يهجم عليك وأنت متلبس بمعصية تسخط الله تعالى منك.

فالمرء في العادة يموت على ما عاش عليه، ويبعث يوم القيامة على ما مات عليه، ففي حال السياق، والتفاف الساق بالساق، لا يتذكر الإنسان حال موته إلا ما كان مشغولًا به حال حياته، وما كان قلبه متعلقًا به حال جولاته وخلواته.

لذلك تبرز في حال النزع كثير من الفضائح، ويخرج العبد من الدنيا وقد تبدلت فيه الأقوال، وانكشف ستر الله عليه في أصعب الأحوال.

لذلك جاء في الذكر الحكيم عن الرحمن الرحيم:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران : ١٠٢]. أي : أطيعوه فلا تعصوه، واشكروه ولا تكفروه، واذكروه ولا تنسوه، ولازموا طاعته فهي حبل النجاة من سوء الخاتمة، فالمداومة على الطاعات بريد الموت على الإيمان.

لذلك حثنا رسولنا الكريم ﷺ إلى المبادرة بالطاعات وزيادة الحسنات قبل هجوم العوارض فيقول:

« بادروا بالأعمال الصالحة سبعًا، فهل تنتظرون إلا فقرًا منسيًا، أو غنى مطغيًا، أو مرضًا مفسدًا، أو هرمًا مفندًا، أو موتًا مجهزًا، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو

---

(١) راجع كتاب «أيها العاصي تذكر» عبد اللطيف هاجس ـ دار الأندلس.

الساعة والساعة أدهى وأمر»[١].

وقد وعد الله تعالى الذين خلط الإيمان بشاشة قلوبهم، واستقاموا على منهاج ربهم، ولم يروغوا روغان الثعلب فيعملون بما وافقه ويتركون ما خالفه بالتثبيت والتأييد، يوم تتخلى عنهم كل القوى ويصبحون مرتهنون بأعمالهم مجزيون بأفعالهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ عند مواطن الهلكة، ومنها الموت ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾ على ما أمامكم ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ على ما خلفكم ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[٢].

أما الذين ظلموا أنفسهم بالذنوب، وقدموا بأيديهم سيئات تنوء بحملها الجبال فقد توعدهم الله بالإضلال يوم يكونون أحوج ما يكونون للتثبيت والنصرة؟

والجزاء من جنس العمل ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾[٣].

ومن كان الشيطان مستوليًا عليه، وقد تمكن منه في حال حضور ذهنه وقوته وكمال إدراكه وفطنته، واستعمله فيما يريده منه من المعاصي والذنوب، فكيف الظن به عند سقوط قواه وانشغال قلبه بما هو فيه من ألم النزع والسكرات وشدة الألم والكربات؟

وقد جمع الشيطان له كل قواه، وجلب عليه بخيله ورجله، وحشد عليه بجميع من يقدر عليه لينال منه غرضه، ونادى في أعوانه وزبانيته: عليكم به، فإنه إن فاتكم لم تدركوه، فإن هذا هو آخر العمل، فأقوى ما يكون عليه الشيطان في ذلك الوقت، وأضعف ما يكون هو في تلك الحالة.

---

(١) الحديث: ضعيف، أخرجه الترمذي رقم (٣٠٦) عن أبي هريرة، والحاكم في «المستدرك» وضعفه الشيخ الألباني وراجع السلسلة الضعيفة رقم (١٦٦٦).
(٢) سورة فصلت: آية (٣٠).
(٣) سورة الرحمن: آية (٦٠).

فمن يا ترى يسلم عند ذلك؟!

هنالك ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم : ٢٧].

ولا تسأل عن هالك كيف هلك؟ إنما تسأل : من نجا ؟ وكيف نجا؟

ولا يهلك إلا الهالك.

وقد سمعنا كثيرًا من القصص عَمَّنْ ساءت خاتمتهم، وخابت عاقبتهم في حال قولهم وانصرام أمرهم، فكان في حالهم عبرة وفي قصصهم ذكرى. والكيس من دان نفسه وعمل للموت وما بعده.

فكن ياعبدالله من المعتبرين، ولا تكن أنت عبرة لمن خلفك من الناس أجمعين.

سَبَّ الدِّينَ وهو يموت

• فهذا شاب في مقتبل عمره وريعان شبابه، كان معرضًا عن الله غافلًا عن خالقه ومولاه، وقع له حادث سيارة، وكان مضرجًا في دمائه في حالة سيئة فاقترب منه أحد الناس فوجده في حال النزع، يعاني من سكرات الموت، فأراد أن يذكره بالشهادة، فلعله يختم له بخاتمة السعادة كما ندب إلى ذلك رسول الله ﷺ بقوله :

« لقنوا موتاكم لا إله إلا الله »[1].

و « من كان آخر كلامه : لا إله إلا الله دخل الجنة.»[2]

فقال الرجل : قل لا إله إلا الله.

---

(١) راجع صحيح سنن ابن ماجه (١١٨٥) عن أبي هريرة.

(٢) الحديث صحيح. أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٤٧) وأبو داود في سننه (٣/ ٤٨٦) كتاب الجنائز (١٥) «ح» (٣١١٦) ، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٥١) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وصححه الشيخ الألباني وراجع الإرواء برقم (٦٨٧) والمشكاة برقم (١٦٢١).

فرفع ذلك الشاب المصاب رأسه وكان دمه يثعب، وقال بلهجة عالية : ما صليت ولا بصلي.. روح الله يلعن...

وسبَّ الدين. ثم قضى نحبه، وهلك.

فنعوذ بالله من سوء الخاتمة.

قال في موته : أنا في سقر

وهذا شاب آخر : حصل له حادث، فجاء أحد المسلمين، فوجده يعاني من شدة الموت والنزع، وأحسَّ به وكأنه يتمزق من شدة الألم وعذابه، وذكره بالشهادة فأجابه بعد إلحاح : أنا في سقر.. أنا في سقر.. ومات عليها.

فسأل الرجل عن أهل الميت حتى دُلَّ عليهم، فسألهم عن خبره.

فقالوا : إنه كان لا يصلي.

وصدق الله حين أخبر عن المجرمين: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾.[1]

نطق الشهادة أثقل عليَّ من الجبال

• وروي أن عجوزًا قد بلغت من العمر عتيًّا، كانت تقع في أعراض الناس وتغتابهم، وتأكل في لحومهم، وقف ابنها بجوار رأسها يذكرها بالشهادة عند احتضارها، فردت عليه بعد أن كررها على سمعها مرارًا وقالت : والله يا بني إنها أثقل عليَّ من الجبال الراسيات.

فلا حول ولا قوة إلا بالله، والمعصوم من عصمه الله تعالى.

(١) سورة المدثر : آية (٤٢).

يمـوت وهو يغنـي

• ويذكر أن شابًّا كان يقود سيارته ويغني ويدندن ويردد أغنية تلك الشقية : هل رأى الحب سكارى مثلنا، ومات وهو يدندن بها، عاش عليها ومات عليها، وسيبعث يوم القيامة عليها.

يوم يبعث الله الشهيد دمه يثعب اللون لون الدم والريح ريح المسك [١]».

ويبعث الله المحرم بالنسك ملبيًا [٢]، وهو يردد : لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك.

وهذا العاصي يبعث ويردد : هل رأى الحب سكارى؟!

فتأمل **أيها العاصي** - متى جاءه الموت، وعلى أي حال أتاه؟

وكلنا ينتظر الموت.

برئنا إلى الله من معشر ... بهم مرض من سماع الغنا
وكم قلت : يا قوم أنتم على ... شفا جرف ما به من بنا
شفا جرف تحته هوة ... إلى درك، كم به من عنا
وتكرار ذا النصح منا لهم ... لِنعْذر فيهم إلى ربنا
فلما استهانوا بتنبيهنا ... رجعنا إلى الله في أمرنا
فعشنا على سنة المصطفى ... وماتوا على تنتنا تنتنا
والموت باب وكل الناس ... فيا ليت شعري بعد الموت ما

(١) راجع صحيح سنن ابن ماجه (٢٥٠٣).
(٢) راجع صحيح سنن ابن ماجه (٢٢٥٤).

الخاتمـــة

ليتخيل كل عاص نفسه وهو يسحب في النار على وجهه، بل يتخيل حينما تحيط به النار من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، ومن فوقه، ومن تحته.

طعامه الزقوم: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ﴾ [الدخان:٤٣-٤٥].

وشرابه ماء كالمهل يشوي الوجوه: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف:٢٩].

وثيابه من النار: ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ [الحج: ١٩].

ولا حول ولا قوة إلا بالله الواحد الغفار.

فيا أيها المطرود بإصراره وطغيانه، وغفلته وخسرانه، وتماديه وعصيانه، لقد عظمت مصيبتك بغضب الله وهوانه؛ فأين مقلتك الباكية؟ وأين دمعتك الجارية؟

وأين زفرتك الرائحة الغادية؟

لأي يوم أخرت توبتك؟!

ولأي عام ادخرت عودتك؟! إلى العام القادم، والحول القابل!

كلا، كلا فما إليك مُدَّة الأعمار، ولا معرفة الأقدار، فكم من رجل أعد طيبًا لعيده فجعل في تلحيده؟! وثيابًا لتزيينه فصارت لتكفينه؟!

أيها العبد العاصي: عد إلى مولاك، مولاك يناديك بالليل والنهار، وأنت عنه معرض، وعلى غيره مقبل، وأمنت مكر الله ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩].

أيها العاصي: أما اتعظت من القرآن المجيد، وهو يبدي لك التذكار ويعيد غير أن الفهم منك بعيد، ومع هذا فقد سبق العذاب التهديد ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق:٤٥].

أيها العاصي : إن في القرآن ما يلين الجلاميد، لو فهمه الصخر كان الصخر يميد، كم أخبرك بإهلاك الملوك الصيد [(١)]، وأعلمك أن الموت بالباب والوصيد ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾.

أيها العاصي : إن مواعظ القرآن تذيب الحديد، وللفهوم كل لحظة زجر جديد، وللقلوب النيرة كل يوم به عيد، غير أن الغافل يتلوه ولا يستفيد ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾.

أما الموت للخلائق يبيد؟

أما تراه قد مزقهم في البيد؟

لقد أسهم بالهلاك دوس الحصيد؟ لا بالبسيط ينتهون ولا بالتشديد.

أين من كان لا ينظر بين يديه؟

أين من أبصر العبر ولم ينتفع بعينيه، أين من بارز بالذنوب المطلع عليه : ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق :١٦].

أين من كان يتحرك في أغراضه ويميد، ويغرس الجنان لها طلع نضيد، كان قريبًا منا فهو اليوم بعيد : ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾.

يا معشر العصاة : أما فيكم من يذكر أنه في قبره وحيد؟

أما فيكم من يتصور تمزيقه والتبديد؟

غدًا يباع أثاث البيت فمن يزيد.

غدًا يتصرف الوارث كما يريد.

غدًا يستوي في بطون اللحود الفقير والسعيد.

يا قوم ستقومون للمبدئ المعيد.

يا قوم ستحاسبون على القريب والبعيد.

يا قوم المقصود كله وبيت القصيد ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود :١٠٥].

أيها العصاة : أين من لعب ولَهَا؟ أين من غفل وسها؟

---

(١) أي : الذين يرفعون رءوسهم كبرًا.

دهاه أفظع ما دها، وحط ركنه فوها، ذهبت لذة ذنوبه وحبس بها، نظر في عاجله وتنسى المنتهى.

ناد القصور التي أقوت معالمها ... أين الجسوم التي طابت
أين الملوك وأبناء الملوك ومن ... ألهاه ناضر دنياه وناعمها؟!
أين الأسود التي كانت تحاذرها ... أسد العرين ومن خوف تسالمها؟!
أين الجيوش التي كانت لو ... لها العقاب لخانتها قوادمها؟!
أين الحجاب ومن كان الحجاب له ... وأين رتبته الكبرى وخادمها؟!
أين الذين لهوا عما له خلقوا ... كما لهت في مراعيها سوائمها؟!
أين البيوت التي من عسجد ... هل الدنانير أغنت أم دراهمها؟!
أين الأسرة تعلوها ضراغمها ... هل الأسرة أغنت أم ضراغمها؟!
هذي المعاقل كانت قبل عاصمة ... ولا يرى عصم المغرور عاصمها
أين العيون التي نامت فما انتبهت ... واهًا لها نومة ما هب نائمها؟!

أيقظنا الله وإياكم من رقدة الغفلة، ووفقنا الله وإياكم للتزود قبل النقلة، وألهمنا اغتنام الزمان ووقت المهلة، إنه سميع قريب [1].

المؤلفان

محمد عبد الملك الزغبي
داعية إسلامي
إمام وخطيب مسجد مطلق الخزام ـ بالفحيحيل
مؤلف مساهم برابطة العالم الإسلامي (٤٩٣ / ب)
عضو لجنة العلاقات العامة العربية (١١٦٦)
الحاصل على المركز الأول
على مستوى الدولة من الكويت (٢٠٠٥)

محمود عبد الملك الزغبي
باحث إسلامي
صاحب موسوعة فقه الزكاة
له مؤلفات عديدة

---

(١) التبصرة لابن الجوزي.

المصادر والمراجع

(١) القرآن الكريم.
(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ـ ط. الريان.
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي.
(٤) سنن الترمذي.
(٥) سنن أبي داود.
(٦) سنن ابن ماجه.
(٧) سنن النسائي.
(٨) مسند أحمد بن حنبل.
(٩) صحيح الجامع الصغير ـ للألباني.
(١٠) السلسلة الصحيحة ـ للألباني.
(١١) التوابين لابن قدامة المقدسي، بتحقيق الشيخ محمود عبد الملك الزغبي.
(١٢) الداء والدواء ـ لابن القيم ـ بتحقيق الشيخ محمد عبد الملك الزغبي.
(١٣) ميزان الاعتدال ـ للذهبي.
(١٤) شعب الإيمان للبيهقي.
(١٥) مختصر تفسير ابن كثير ـ بتحقيق الصابوني ـ بيروت، ط. دار الغد.
(١٦) الجامع لأحكام القرآن ـ للقرطبي.
(١٧) جامع البيان ـ للطبري.
(١٨) الدر المنثور ـ للسيوطي.
(١٩) صحيح ابن حبان (موارد الظمآن).
(٢٠) رياض الصالحين ـ بتحقيق المؤلفين.
(٢١) بستان الواعظين ـ لابن الجوزي ـ بتحقيق المؤلفين.
(٢٢) كشف الخفا ـ للعجلوني.
(٢٣) إحياء علوم الدين ـ بتحقيق الشيخ محمد عبد الملك الزغبي.
(٢٤) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ـ للقرطبي بتحقيق الشيخ أحمد عبد الملك الزغبي.
(٢٥) شرح السنة ـ للبغوي.

(٢٦) صفوة التفاسير ـ للصابوني.

(٢٧) البحر الرائق ـ أحمد فريد.

(٢٨) أيها العاصي تذكر.. عبد اللطيف هاجس ـ دار الأندلس الخضراء.

(٢٩) البداية والنهاية ـ لابن كثير.

(٣٠) الترغيب والترهيب ـ للمنذري.

(٣١) صحيح الترغيب والترهيب للشيخ الألباني.

(٣٢) مسند الدارمي.

(٣٣) النكت على ابن الصلاح.

(٣٤) الأجوبة الفاضلة.

(٣٥) مجمع الزوائد ـ للهيثمي.

(٣٦) الحلية لأبي نعيم.

(٣٧) مشكاة المصابيح ـ بتحقيق الشيخ الألباني.

(٣٨) تاريخ بغداد.

(٣٩) تذكرة الحفاظ.

(٤٠) شذرات الذهب.

(٤١) العلل لابن أبي حاتم الرازي.

(٤٢) طبقات الحفاظ.

(٤٣) صحيح سنن النسائي للعلامة الألباني.

(٤٤) جلاء الأفهام للعلامة ابن القيم الجوزية.

(٤٥) أعلام المفسرين للصابوني.

(٤٦) جامع الأصول.

(٤٧) الرفع والتكميل تحقيق الشيخ أبي غدة رحمه الله.

(٤٨) الجامع الصغير للسيوطي ـ رحمه الله.

الفهـــرس